□ عُلُـوّ الهمّة في الصَّـلاة □

العبادة على رؤوس العباد أحلى من التيجان على رؤوس الملوك ... وإذا سئم البطالون من بطالتهم ، فلن يسأم العباد من عبادة ربهم ومناجاتهم ... فهي دواء الجنون ، كما قال أبو مسلم الخولاني لرجلٍ لما رآه كثير الذكر ، فقال له الرجل : أمجنون أنت ؟ فقال أبو مسلم : هذا دواء الجنون .

فرحم الله رجالًا نصبوا أبدانهم لخدمة مولاهم ... وكابدوا العبادة حتى استمتعوا بها .

يقـول ثابت البناني وعتبة الغلام : كابدت الصـلاة عشرين سنةً واستمتعت بها عشرين سنة .

إذا أقبل وقت الطاعة اشتاقوا إليها ... وحنت أرواحهم للقيام بها ، ورأوا الفوائد تأتي فيها كما قال السري : « رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل » فسبحان من أعانهم ووفقهم ، وعلَّى هممهم حتى حطت فوق الشمس ، وكم اشتاق الناس إلى سماع سيرهم وأخبارهم .

تتنوع بساتين عباداتهم من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وذكرٍ وتصدقٍ ، وتعرف البشرية وتشرف وتتعطر صفحاتها بذكر قمم العبادة ، وسادات العباد من الصحابة فمن بعدهم .. وبذكرهم تطيب المجالس : عمر بن الخطاب وابنه وعثمان وعبد الله بن عمرو وتميم الداري ، وأُويس القرني وأبو مسلم الخولاني وسليمان التيمي ومسلم بن يسار ومنصور بن المعتمر ووكيع وشعبة والأوزاعي وابن حنبل وبشر بن الحارث وعبد الله بن وهب والجنيد والثوري والنووي وابن قيم الجوزية وغيرهم وغيرهم .

ولو أردنا أن نذكر أخبار العباد وعباداتهم ، لاستغرق ذلك المجلدات ، ولكنا نشير إلى قممهم ممن علت هممهم ، ونقطف من بستان كلٍّ منهم زهرة ، نستنشق عبيرها .. فتنقلنا بعيدًا بعيدًا عن هجير دنيانا الكالح .. أين

منا صوام النهار ورجال الليل .. أين ابن أدهم والفضيل .. ذهب الأبطال وبقي كل بطال .. ذهب السادة وبقي قرناء الحشاء والوسادة .

نَزَلُوا بمكةَ في قبائلِ هاشمٍ ونزلتُ بالبيداءِ أَبْعَد منزِلِ

* * *

□ فـائـدةٌ هامَّـة □

سنَسرد بعد قليلٍ أخبار جملةٍ من الصحابة والتابعين وتبعهم من الفقهاء والمحدثين والأئمة المجتهدين ، قد جاهدوا في العبادة حق الجهاد ، واجتهدوا في التعبد غاية الاجتهاد ، ففازوا بأعلى النصيب أيّ نصيبٍ ، وصاروا بحيث تنزل بذكرهم الرحمة ، وتندفع بسماع أخبارهم الزحمة .

وقد طالعت كتب التاريخ والتراجم لأئمة هذا الفن ، ونقلنا عنهم ، والذاكرون لهذه المناقب ليسوا ممن لا يعتمد عليه ، أو ممن لا يكون حجة في النقل ، بل هم أئمة الإسلام وعمد الأنام ، الذين يرجع إلى أقوالهم في المهمات ؛ كأبي نعيم وابن كثير والسمعاني وابن حجر العسقلاني والسيوطي والنووي وإمام الجرح والتعديل شيخ الإسلام الذهبي ، ومن يحذو حذوهم ، وهم أهل الحيطة والنقد . ويكفي الذهبي .

وإن قال قائل : بعض المجاهدات مما لا يعقل وقوعها . فأقول : إن صح السند ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. ومدمن القرع للأبواب سيلج .

ومثل هذه الاجتهادات ليست ببدعةٍ وضلالة ؛ لوجوه :

الأول : أنه قد وجد الاجتهاد في العبادة حسب الطاقة من الصحابة وتبع التابعين من غير إنكار أحدٍ منهم ؛ ولا يصح أن تنسب إليهم البدعة المنكرة .

الثاني : بعض الخلفاء الراشدين فعل بعض هذه الاجتهادات ، وهذا دليل أنه سنة .

الثالث : صدور مثل هذه الاجتهادات من المجتهدين ، ولا ينسبون إلى الضلالة بالإجمال .

الرابع : أن أجلة المؤرخين ، الذين هم المعتمد عليهم بين المسلمين ،

وقد اشتهر ورعهم في الدين ، وتحرزهم عن الابتداع في الدين ، قد أوردوا في تصانيفهم في تراجم العلماء ذكر اجتهادهم في العبادة ، وأدرجوا ذلك مدرج المدح والجلالة ، وهذا أدل دليل على أنه ليس ببدعةٍ عندهم ، فإن المدح بما هو بدعةٌ ليس من شأن العلماء .

الوجه الخامس : ثبوت الاجتهاد في العبادة عنه ﷺ .. بل هو سيد المجتهدين على الإطلاق وزينهم وفخرهم « وأيهم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » . ولو لم يكن إلّا قيامه ﷺ الليل حتى ترم قدماه وتزلع ، لكان كافيًا .

قال ابن بطال : في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة ، وإن أضر ذلك ببدنه ؛ لأنه ﷺ إذا فعل ذلك ، مع علمه بما سبق له ، فكيف بمن لم يعلم ذلك ؟ فضلًا عمن لم يأمن أنه استحق النار . ومحله - كما قال الحافظ ابن حجر - ما لم يفض إلى الملال ؛ لأن النبي ﷺ كان أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضر ذلك ببدنه .

وقد ثبت إحياء الليل من النبي ﷺ،وهو سهر الليل كله للعبادة .

قال النووي : أي استغرقه بالسهر بالصلاة وغيرها .

فنفْي عائشة قيام الليل كله « لا أعلم نبي الله قرأ القرآن كله في ليلة ، ولا صلى ليلةً إلى الصبح » محمولٌ على غالب أوقاته ﷺ . وكذلك خبر الزيادة على إحدى عشرة ركعة ، محمول على ما هو الأغلب ، وإلّا فقد ثبت برواياتٍ متعددةٍ الزيادة على ذلك . ورضي الله عن عائشة القائلة : « وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع ؟ » .

السادس : أنه قد أجاز النبي ﷺ العبادة على حسب الطاقة .

فقال ﷺ : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا »[1] .

---

(١) صحيح . رواه أبو داود ، ورواه مسلم بنحو هذا اللفظ .

وأخرج البخاري عن عائشة مرفوعًا : « عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا » .

والنفوس مختلفة في الطاقة ، فمن أطاق كثرة العبادة من دون حصول مَلَلٍ ، يجوز له ذلك ، والله تعالى خلق بعض النفوس ذوَّاقةً شوَّاقةً ، لها تشبُّهٌ بالملائكة الذين لا يفترون عن العبادة ، فمن حصل لنفسه التذاذٌ بشيءٍ ، لم يحصل له بكثرته ملالٌ أصلًا ، ومن لم يلتذ بشيءٍ ، حصل له بكثرته ملالٌ .

فالحاصل أن السلف الماضين اختاروا العزائم في أنفسهم ؛ لأنهم أهل الهمم والعزائم ، وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية ، يفتون بها للعامة ، ويحرضونهم على فعلها .

« فالاجتهاد في العبادة جائزٌ بعشرة شروط :

الأول : أن لا يحصل له مللٌ يفقده لذة العبادة ؛ بدليل : « ليصل أحدكم نشاطه » .

الثاني : أن يكثر حسب طاقته ، ودليله : « عليكم من الأعمال ما تطيقون » .

الثالث : أن لا يفوت ما هو أهم ، ويدل عليه قول عمر رضي الله عنه : « لأن أشهد الصبح في جماعةٍ ، أحبُّ إليَّ من أن أقوم ليلةً » .

الرابع : أن لا يضيع حقًّا شرعيًّا ، كما حصل لابن عمرو وأبي الدرداء .

الخامس : أن لا يبطل رخصةً شرعية ، كما ظن الرهط الذين تقالّوا عمل النبي ﷺ في بيته .

السادس : أن لا يوجب ما ليس بواجبٍ شرعيٍّ ، كما أوجب ابن مظعون على نفسه .

السابع : أن يأتي بالعبادة المجتهد فيها بتمامها ، بدليل : « لا يفقه من

قرأ القرآن في أقل من ثلاثٍ » .

الثامن : أن يداوم على ما يختاره من العبادة ؛ بدليل : « أحب الأعمال إلى الله أدومها » .

التاسع : أن لا يجتهد بحيث يورث الملل لغيره ، أخذًا بحديث : « إذا صلى أحدكم فليخفف » .

العاشر : أن لا يعتقد أنه أفضل عملًا مما كان عليه ﷺ من تقليل العمل تشريعًا لأمته حتى لا يفرض عليهم »[1] .

ثم نختم بكلامٍ نفيسٍ للشاطبي ، وبعده نشرع في عبادة ومناقب أرباب الكمال ، واللطائف الشريفة والشرائف اللطيفة .. نصرة لعلاة الهمم من العابدين ، ودفعًا لطعن الخامدين .. ومن ذاق عرف .

إن الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات ، عمر الله بأنوارها قلوب العباد ، بفتح الباب ، ورفع الحجاب ، ورخص للعباد في المناجاة بالصلوات ، كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات .

هي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي يزود القلب ، إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض ، إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة ، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ، إنها زاد الطريق ، ومدد الروح وجلاء القلب ، إنها العبادة التي تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان .

حين تستشعر القلوب رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله ، فتسكن وتخشع ، ويسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات ، ويغشى

---

(١) انظر « إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة » للكنوي تحقيق أبي غدة - نشر مكتب المطبوعات الإسلامية - الطبعة الثانية .

الأرواح أنوار الجلال في حضرة الله ، وتختفي من الأذهان جميع الشواغل ، فلا تشتغل بغير ربها ، وتستغرق في الشعور به ، وتشغل بنجواه - يتوارى عن الحسِّ كل ما حوله وكل ما به ، فلا يتذوق العبد إلا معنى الوقوف في تلك الحضرة القدسية ، ومناجاة الذات العلية ، فتجد الروح طريقها ، ويعرف القلب الموحش مثواه .

بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة ؛ لعظيم مكانها في بناء الإيمان ، بوصفها أكمل صورةٍ من صور العبادة .

قال ﷺ : « الصلاة خير موضوعٍ ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر »(١) .

« لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيمانًا كان أكثرهم وأطولهم صلاةً وقنوتًا وإيقانًا »(٢) .

« وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الاستقامة ، وبابها المحراب »(٣) .

« وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار ، والنساء ، والقصر المنيف ، فإن جنة المؤمن في محرابه »(٤) . في خلوته بربه .

« يصلي ما كتب الله له صلاة محبٍّ ناصح لمحبوبه ، متذلل منكسر

(١) حسن . رواه أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحه عن أبي ذر . ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وحسن الحديث الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٦٤) .

(٢) المناوي في فيض القدير ٤/٢٤٧ .

(٣) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص١٥ .

(٤) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص٢٧ .

بين يديه ، لا صلاة مدلٍّ بها عليه ، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن استـزاره وطرد غيره ، وأهّله وحرّم غيره ، فهو يزداد بذلـك محبةً إلى محبته ، ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه ، وجنة روحه ، ونعيمه ولذته وسروره ، في تلك الصلاة ، فهو يتمنى طولها ، ويهتم بفراقها ، كما يتمنى المحب الفائز بوصول محبوبه ذلك ، فهو كما قيل :

يَوَدُّ أنَّ ظلامَ الليلِ دَامَ لـه وزِيدَ فيه سَوَادُ القلبِ والبَصَرِ

فهو يتملق فيها مولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه ، معطيًا لكل آية حظها من العبودية ، فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والـوداد ، والآيات التي فيها الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم وإحسانه إليهم ، وتطيب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة ، فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويهونه ، وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه ، العادلين به غيره ، المائلين إلى سواه ، فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرد قلبه عنه .

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلى في كلامه ، ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها . ثم شأنٌ آخر ، لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنتُ أرى أن قد تَنَاهى بيَ الهَوَى إلى غايةٍ ما بَعْـدَهَا لي مَذْهَـبُ
فلمَّا تـلاقَيْنَـا وعاينـتُ حُسْنَهَـا تَيَقَّنْتُ أني إنَّمـا كُنـتُ ألْعَـبُ

فواأسفاه وواحسرتاه ، كيف ينقضي الزمان وينفد العمر والقلب محجوبٌ ، ما شم لهذا رائحةً ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها ، وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقـال

المفاليس . فكانت حياته عجزًا ، وموته كمدًا ، ومعاده حسرةً وأسفًا »[١] .

يا ابن آدم ، أي شيءٍ يعزُّ عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك .. الصلاة مكيال ... وقد علمت ما قال الله في المطففين . إن كان الله قد توعد المطففين في مكيال الدنيا بالويل .... فما ظنكم بالمطففين في مكيال الدين ... ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود .

قال رسول الله ﷺ : « أسرق الناس الذي يسرق صلاته ، لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وأبخل الناس من بخل بالسلام » .

وهذه أحاديث ساقها الحبيب البشير النذير ﷺ ، تعلو بها الهمم في الصلاة والمحافظة عليها والخشوع فيها والإتيان بالنوافل .

ومن علوّ الهمّة : التَّسوُّك وإسْباغُ الوضوء ، ومُشابَهَة وضوء النبي ﷺ :

قال ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلَّا مؤمن »[٢] .

وقال ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط »[٣] .

وقال ﷺ : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »[٤] .

وقال ﷺ : « ما من مسلمٍ يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ؛ يقبل عليهما بقلبه ووجهه ، إلَّا وجبت له الجنة »[٥] .

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص٢٠٥ .

(٢) صحيح : رواه أحمد وابن ماجة ، والبيهقي والطبراني في الكبير عن ثوبان وابن عمرو وسلمة .

(٣) رواه مسلم ومالك وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٥) رواه مسلم وأبو داود عن عقبة بن عامر .

وقال ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين ، لا يسهو فيهما ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه »(١) .

وقال ﷺ : « من توضأ مثل وضوئي هذا ، ثم قام فصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيءٍ ، غفر له ما تقدم من ذنبه »(٢) .

وقال ﷺ : « إذا قام الرجل يتوضأ ليلًا أو نهارًا ، فأحسن الوضوء واستن(٣) ، ثم قام فصلى ، أطاف به الملك ، ودنا منه ، حتى يضع فاه على فِيهِ ، فما يقرأ إلَّا في فيه ، وإذا لم يستن أطاف به ، ولا يضع فاه على فيه »(٤) .

ومن علو الهمة : المحافظة على الصلاة في أوَّل وقتها :

وقال ﷺ : « اتَّقوا الله في الصلاة ، وما ملكت أيمانُكم »(٥) .

وقال ﷺ : « خمس صلواتٍ افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن ، كان له على الله عهدٌ أن يغفر له ، ومن لم يفعل ، فليس له على الله عهد ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه »(٦) .

وقال ﷺ : « أكثرْ من السجود ، فإنه ليس من مسلمٍ يسجد لله تعالى سجدةً ، إلَّا رفعه الله بها درجةً في الجنة ، وحط عنه بها خطيئةً »(٧) .

---

(١) حسن : رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن زيد بن خالد ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .
(٢) صحيح : رواه النسائي عن عثمان وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٧٥) .
(٣) استنّ : استاك .
(٤) صحيح : رواه محمد بن نصر في الصلاة ، والبيهقي في سننه والضياء عن علي .
(٥) صحيح : رواه الخطيب في التاريخ عن أم سلمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٥) .
(٦) صحيح : رواه أبو داود ، والبيهقي في سننه عن عبادة بن الصامت وصححه الألباني في صحيح الجامع .
(٧) رواه أحمد وابن سعد عن أبي فاطمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٠٤).

وقال ﷺ : « إن العبد إذا قام يصلي ، أُتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه »(١) .

وقال ﷺ : « حبب إليَّ من دنياكم : النساء والطيب . وجعلت قرة عيني في الصلاة »(٢).

وقال ﷺ : « صلاةٌ في إثر صلاةٍ لا لغو بينهما كتابٌ في عليين »(٣).

وقال ﷺ : « أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها »(٤) .

وقال ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله »(٥).

وقال ﷺ : « أفضل العمل الصلاة لوقتها ، والجهاد في سبيل الله »(٦).

وقال ﷺ : « إذا سمعت النداء فأجب داعي الله »(٧).

وقال ﷺ : « يا بلال،أقم الصلاة أرحنا بها »(٨).

ومن علوّ الهمَّة : المَشْيُ إلى المساجد مُتوضِّئًا :

فأجر الخارج إلى صلاة مكتوبة متطهِّرًا كأجر الحاج المحرم :

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم ، والبيهقي في سننه عن ابن عمر وصححه الألباني .

(٢) صحيح : رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي في سننه عن أنس ، وصححه الألباني .

(٣) حسن : رواه أبو داود وأحمد عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٣٧) .

(٤) حسن . رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١١١/١ .

(٥) أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين ، للدكتور فضل إلهي ص١٥ . الناشر : إدارة ترجمان الإسلام بباكستان .

(٦) صحيح : رواه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود .

(٧) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٨) صحيخ : رواه أحمد ، وأبو داود عن رجل ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من بيته متطهِّرًا إلى صلاةٍ مكتوبةٍ ، فأجره كأجر الحاج المحرم »[١].

قال زين العرب في شرح قوله ﷺ : « كأجر الحاج المحرم » : « أي كامل أجره » .

« الله أكبر ! ما أعظم أجر الخارج إلى المسجد ! يدرك المرءُ المسلم يوميًّا بخروجه للصلوات الخمس أجر من خرج للحج خمس مراتٍ ، وإذا كان هذا الأجر العظيم على الخروج لأداء الصلاة في جماعةٍ فحسب ، فكيف يكون الأجر على أداء الصلاة في جماعة »[٢].

وقال ﷺ : « من خرج من بيته متطهّرًا إلى صلاةٍ مكتوبة ، فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن خرج إلى تسبيح الضحى ، لا يَنصِبه إلَّا إياه ، فأجره كأجر المعتمر ، وصلاةٌ على أثر صلاة لا لغو بينهما ، كتابٌ في عليين »[٣] .

وقال ﷺ : « من مشى إلى صلاةٍ مكتوبة في الجماعة ، فهي كحجة ، ومن مشى إلى تطوعٍ فهي كعمرةٍ نافلةٍ »[٤].

وقال ﷺ : « يا بني سلمة ، دياركم تكتب آثاركم »[٥].

وقال ﷺ : « **أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها مَمْشًى ، فأبعدهم . والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام ، أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام** »[٦].

والمشي إلى المساجد للجماعة ثوابه عظيمٌ ، ومنه :

---

(١) حسن : ويأتي برقم (٣) كاملًا .

(٢) أهمية صلاة الجماعة .

(٣) حسن: رواه أبو داود عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٢٨).

(٤) حسن : رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، ورواه أحمد وابن عدي والبيهقي في سننه وابن عساكر .

(٥) رواه مسلم وأحمد عن جابر .

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

اختصام الملأ الأعلى في كتابتها .
والمشي إلى الجماعات من أسباب العيش بخير والموت بخير .
والمشي إلى الجماعات من أسباب محو الخطايا ورفع الدرجات .
والخارج إلى الصلاة ضامِنٌ على الله .
والخارج إلى الصلاة في صلاةٍ حتى يرجع إلى بيته .
والله تعالى بكرمه ومَنِّه يُعِدُّ نُزُلًا من الجنة لمن غدا إلى المسجد أو راح .
قال ﷺ : « بشر المشّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[١] .

ومن علو الهمّة الحِرْص على صلاة الجماعة والتكبيرة الأولى :

لعلو همـة من يحرص عليها ... فما ظنك بالسَّبّاقين إليها ، الحريصين على تكبيرة الإحرام .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى لله أربعين يومًا في جماعةٍ ، يدرك التكبيرة الأُولى ، كتب له براءتان : براءةٌ من النار ، وبراءةٌ من النفاق »[٢] .

فما أحلى وأعطر وأطيب البراءتين جزاءً لعلو الهمة .

وما ظنك بعملٍ يعجب منه مولى الورى رب السموات السبع والأرضين السبع .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ليعجب من الصلاة في الجميع »[٣] .

---

(١) صحيح : رواه أبو داود والترمذي عن بريدة ، وابن ماجة والحاكم عن أنس وسهل ابن سعد .
(٢) حسن : رواه الترمذي عن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٦٥) .
(٣) رواه أحمد في مسنده ، وقال الشيخ أحمد شاكر ٧/١٢٠ : إسناده حسن ، وقال الهيثمي في المجمع ٢/٣٩ : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن . وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٦٥٢) .

ومن علت همته وحرص على الجماعة ، فرح الله بقدومه إلى المسجد ... وأي شيءٍ أعلى من عملك عملًا يفرح به الودود المجيد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ، ثم يأتي المسجد لا يريد إلّا الصلاة فيه ، إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش[1] أهل الغائب بطلعته »[2].

وقد بوب الإمام ابن خزيمة على هذا الحديث بقوله : « باب ذكر فرح الرب تعالى بمشي عبده متوضّيًا » .

عالي الهمّة مُعلَّق القلب في المسجد ، يكون في ظِلِّ الله تعالى يوم القيامة :

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله : الإمام العادل ، وشابٌّ نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأةٌ ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله . ورجل تصدق ، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه » .

قال النووي : « ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد » معناه : شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها .

وقال ابن حجر في الفتح ٢/١٤٥ : ظاهره أنه من التعليق ، كأنه شبهه بالشيء المعلق في المسجد ، كالقنديل مثلًا ، إشارةً إلى طول الملازمة بقلبه ، وإن كان جسده خارجًا عنه . ويدل عليه رواية الجوزقي : « كأنما

---

(١) البَشُّ : فرح الصديق بالصديق ، واللُّطْف في المسألة والإقبال عليه وبرُّه وإكرامه .

(٢) صحيح . رواه ابن خزيمة في صحيحه ، كتاب الإمامة في الصلاة رقم (١٤٩١) ٢/٣٧٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/١٩٤ - ١٩٥ .

قلبه في المسجد » . ويحتمل أن يكون من العلاقة وهي شدة الحب ، ويدل عليه رواية أحمد : « معلقٌ بالمساجد » . وكذا رواية سلمان : « من حبها » .

ومن علو الهمّة الحرص على الصلاة الوسطى في جماعة ، وهي صلاة العصر :

قال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾.

وقال ﷺ : « إن هذه الصلاة - يعني العصر - عرضت على من كان قبلكم فضيعوها ، فمن حافظ منكم اليوم عليها ، كان له أجره مرتين ، ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد »[1].

وقال ﷺ : « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر أهلَه ومالَه »[2].

ومن علوّ الهمّة المُحافظة على صلاة العشاء والصبح في جماعةٍ ، والجلوس في المسجد للذِّكْر حتى تطلُع الشمس ، ثم صلاة ركعتين :

قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة »[3].

وقال ﷺ : « من صلى العشاء في جماعةٍ ، فكأنما قام نصف ليلة ، ومن صلى الصبح في جماعة ، فكأنما صلى الليل كله »[4].

وقال ﷺ : « من صلى العشاء في جماعةٍ ، كان كقيام نصف ليلةٍ ،

---

(١) النجم .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر .

(٣) صحيح : رواه أبو نعيم ، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر ، وصححه الألباني .

(٤) رواه أحمد ومسلم عن عثمان .

ومن صلى العشاء والفجر في جماعة ، كان كقيام ليلةٍ »[١].

وقال ﷺ : « لو يعلم الناس ما في صلاة العشاء وصلاة الفجر ، لأتوهما ولو حبوًا »[٢].

وقال ﷺ : « ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها »[٣].

وعالي الهمّة أول من يغدو إلى المسجد للفجر يُرافقُه مَلَك :

عن مِيثم رضي الله عنه - رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال : بلغني « أن الملك يغدو برايته مع أول من يغدو إلى المسجد ، فلا يزال بها معه ، حتى يرجع فيدخل بها منزله ، وأن الشيطان يغدو برايته إلى السوق مع أول من يغدو ، فلا يزال معه حتى يرجع فيدخلها منزله »[٣].

لله ما أعظم هذا الشرف لعالي الهمة ! أول الذاهبين إلى المسجد لصلاة الفجر في جماعة .

وهذا الأثر وإن كان موقوفًا ، لكنه مرفوعٌ حقيقةً ، فقد قال النووي : « إذا قيل في الحديث عند ذكر الصحابي : يرفعه ، أو ينميه ، أو يبلُغ به ، أو رواية ، فكل هذا وشبهه مرفوعٌ عند أهل العلم »[٤].

---

(١) صحيح . رواه أبو داود والترمذي وابن المنذر عن عثمان بن عفان ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/١١١ ، وصحيح سنن الترمذي ١/٧١ .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٤٠).

(٣) رواه ابن أبي عاصم ، وأبو نعيم ، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/٢٧١ ، وقال ابن حجر : وهذا موقوف صحيح السند (الإصابة في تمييز الصحابة) ٦/١٤٨ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٤) تدريب الراوي للسيوطي ١/١٩١ - ١٩٢ ، واختصار علوم الحديث لابن كثير ص٤٥ ، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر ٧٨ ، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ١/١٢٥ .

ولعالي الهمَّة نقول :

كِتابةُ صلاةِ الفجر مع الجماعة في صلاة الأبرار ، ومُصَلِّيها في وَفْدِ الرحمن :

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ ثم أتى المسجد ، فصلى ركعتين قبل الفجر ، ثم جلس حتى يصلي الفجر ، كُتبت صلاته يومئذٍ في صلاة الأبرار ، وكُتب في وفد الرحمن »(١) .

لله ما أعظم هذا الشرف ، ولا يحرص عليه إلَّا من علت همته ، وعلم معنى أن يكون من وفد الرحمن ، وأن تكتب صلاته في صلاة الأبرار .

ومُصَلِّي الفجر في جماعةٍ في ذمَّة الله :

وهل هناك أعلى وأشرف وأوثق وأجل من ضمان العزيز الملك ، وعهده وأمانه في الدنيا والآخرة .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى الصبح في جماعةٍ ، فهو في ذمَّة الله ، فمن أخفر ذمة الله ، كبّه الله في النار لوجهه »(٢).

وقال ﷺ : « من صلى الصبح ، فهو في ذمة الله ، فلا يتبعنكم الله بشيءٍ من ذمته »(٣).

وقال ﷺ : « من صلى البَرْدَيْن دخل الجنة »(٤). أي صلاة العصر والصبح .

مُصلِّي الفجر في جماعةٍ له أجْرُ حجَّةٍ وعُمرةٍ إذا قَعَدَ يذكر الله حتى تطلع الشمسُ ثم صلَّى ركعتين :

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى

(١) حسن . رواه الطبراني ، وعنه المنذري ؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) صحيح . رواه الطبراني في الكبير .

(٣) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٣٨).

(٤) رواه مسلم عن أبي موسى .

صلاة الغداة في جماعة ، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين ، انقلب بأجر حجَّةٍ وعُمرةٍ »[١].

وقال ﷺ : « من صلى الفجر في جماعةٍ ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجّةٍ وعُمرةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ » .

فيا عالي الهمة .. هذا نبيك ﷺ يشحذ همتك لمتابعة سنته .

فرسولنا ﷺ : « كان إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس ».

ومن علوّ الهمَّة انتظارُ الصلاة :

فهي الرباط كما قال رسولنا ﷺ : « فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .

وقال رسول الله ﷺ : « المرء في صلاةٍ ما انتظرها »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « القاعد على الصلاة كالقانت ، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إلى بيته »[٣].

وقال ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، ما لم يُحدث أو يقم : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه »[٤].

ومن علو الهمّة الصلاة في الصفوف المُقدَّمة :

قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول »[٥].

---

(١) حسن . رواه الطبراني وقال المنذري والهيثمي : إسناده جيد ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٦١/١ .

(٢) صحيح: رواه عبد بن حميد عن جابر، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٦٨٨).

(٣) صحيح : رواه ابن حبان عن عقبة بن عامر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٤٣٧) .

(٤) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني .

(٥) صحيح : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء ، وابن ماجة عن عبد الرحمن بن عوف والطبراني في الكبير عن بشير ، والبزار عن جابر .

وقال ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصفوف المقدمة »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة ، ولو علمتم ما فضيلته ، لابتدرتموه »[٢].

قال الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا في شرح قوله ﷺ : « مثل صف الملائكة » : « أي في القرب من الله عز وجل ، ونزول الرحمة ، وإتمامه واعتداله » .

وانظر إلى صلاة النبي الكريم ﷺ على الصف الأول والثاني :

روى النسائي ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي على الصف الأول ثلاثًا ، وعلى الثاني واحدةً[٣].

ومعنى صلاة النبي ﷺ - كما يقول العلامة السندي -: يدعو لهم بالرحمة ويستغفر لهم ثلاث مراتٍ .

وقد جاء « أن رسول الله ﷺ كان يستغفر للصف المقدم ثلاثًا ، وللثاني مرةً »[٤] .

ولو لم يكن في علو همة رجال الصف الأول ، إلَّا استغفار الرسول ﷺ ثلاثًا ، لكفى .

---

(١) صحيح : رواه النسائي ، وأحمد وأبو داود والدارمي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم ، وصححه الألباني .

(٢) صحيح . جزء من حديث صحيح ، رواه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب في فضل صلاة الجماعة ، جزء من رقم الحديث (٥٥٠) ٢/٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) صحيح . سنن النسائي ، كتاب الإمامة ، فضل الصف الأول على الثاني . وصححه الشيخ الألباني ، انظر صحيح سنن النسائي ١/١٧٦ - ١٧٧ .

(٤) صحيح . رواه ابن ماجة والحاكم ، وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/١٦٤ .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزال قومٌ يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار »[١].

وقال ﷺ : « لو تعلمون ما في الصف الأول ، لكانت قرعة » . رواه ابن ماجه .

وقال ﷺ : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلَّا أن يستهموا عليه ، لاستهمُوا ، ولو يعلمون ما في التهجير ، لاستبقُوا إليه ، ولو يعلمون ما في العَتَمَة والصبح ، لأتَوْهما ولو حَبْوًا »[٢].

ومن عُلوّ الهمّةِ الصلاةُ في ميامِنِ الصفوف :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف »[٣].

ومن علوّ الهمّةِ صِلَة الصفوف ولِينُ المناكِب :

قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلّون على الذين يَصِلون الصفوف ، ومن سدّ فُرجةً ، رفعه الله بها درجةً »[٤].

وقال ﷺ : « خيارُكم أَلينُكم مناكب في الصلاة » .

ومن علوّ الهمَّةِ غُسْلُ الجمعةِ والتبكير إليها :

قال رسول الله ﷺ : « من غسل يوم الجمعة واغتسل ، ثم بكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ، وأنصت ولم يلغ ،

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) حسن . رواه أبو داود وابن ماجه ، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ١/٣٢٠ ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/٢١٣ .

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب إقامة الصفوف. وأحمد في المسند: ٦/٨٩.

كان له بكل خطوةٍ يخطوها من بيته إلى المسجد ، عمل سنةٍ ؛ أجر صيامها وقيامها »[١].

وقال ﷺ : « احضروا الجمعة وادنوا من الإمام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « تقعد الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة ، فيكتبون الأول والثاني والثالث ، حتى إذا خرج الإمام رفعت الصحف »[٣].

ومن عُلُوّ الهمَّةِ ، الحِرْصُ على السُّنَن الرَّواتِب وأدائها في البيوت ، والحرْصُ على صلاةِ الضُّحى ، وصلاة التسبيح :

قال ﷺ : « من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعةً تطوعًا ، بنى الله له بيتًا في الجنة » .

وقال ﷺ : « من صلى في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشرة ركعةً بُني له بيتٌ في الجنة ؛ أربعًا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الغداة » .

وقال ﷺ : « من صلى قبل الظهر أربعًا وبعدها أربعًا حرمه الله على النار » .

وأوصى رسول الله ﷺ باستحباب صلاة النافلة في البيوت ، فقال ﷺ : « فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس ، كفضل المكتوبة على النافلة » .

---

(١) صحيح : رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس ، وصححه الألباني .

(٢) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في سننه ، والحاكم عن سمرة ، وصححه الألباني .

(٣) حسن: رواه أحمد عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٩٨٣).

وقال ﷺ : « لا يحافظ على صلاة الضحى إلَّا أوَّابٌ ، وهي صلاة الأوّابِينَ » .

وأفضل أوقاتها كما قال ﷺ : « صلاة الأوّابين حين تَرْمَضُ الفِصالُ » .

وقال ﷺ : « صلاة الضحى صلاة الأوّابين » .

وقال ﷺ : « يا عباس ، يا عماه ، ألا أُعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك ، ألا أفعل بك عشر خصالٍ ، إذا أنت فعلت ذلك ، غفر الله ذنبك أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته ، عشر خصال : أن تصلي أربع ركعاتٍ ، تقرأ في كل ركعةٍ فاتحة الكتاب وسورةً ، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم ، قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، خمس عشرة مرةً ، ثم تركع فتقولها وأنت راكعٌ عشرًا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرًا ، ثم تهوي ساجدًا ، فتقولها وأنت ساجدٌ عشرًا ، ثم ترفع رأسك من السجود ، فتقولها عشرًا ، ثم تسجد ، فتقولها عشرًا ، ثم ترفع رأسك ، فتقولها عشرًا ، فذلك خمسٌ وسبعون في كل ركعة ؛ تفعل ذلك في أربع ركعات ، فلو كانت ذنوبك مثل زبد البحر أو رمل عالج[1]، غفرها الله لك ، إن استطعت أن تصليها في كل يومٍ مرةً ، فافعل ، فإن لم تفعل ففي كل جمعةٍ مرةً ، فإن لم تفعل ، ففي كل شهرٍ مرةً ، فإن لم تفعل ، ففي كل سنةٍ مرةً ، فإن لم تفعل ، ففي عمرك مرةً »[2].

ومن علوّ الهمَّةِ الخشوعُ في الصلاة :

قال ﷺ : « إذا قمت في صلاتك ، فصل صلاة مودّعٍ ، ولا تكلّم

(١) متراكم . وهو موقع قرب مكة أيضًا .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن ابن عباس ، وصححه جمع غفير من الحفاظ .

بكلامٍ تعتذر منه ، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس »[١].

وقال ﷺ : « اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته ، فصل صلاة رجلٍ لا يظن أنه يصلي صلاةً غيرها ، وإياك وكل أمر يعتذر منه »[٢].

وقال ﷺ : « أفضل الصلاة طول القنوت »[٣].

وقال ﷺ : « إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه ، فلينظر كيف يناجيه »[٤].

وقال ﷺ : « صل صلاة مودعٍ كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك »[٥].

ومِن عُلُوّ الهمَّةِ في الصلاة مراعاةُ المعاني الباطِنة التي تتمّ بها حياةُ الصلاة :

ويجمعها ستُّ جُمَلٍ، وهي: حضور القلب، والتَّفهُّم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء ، والحياء .

« **أما حضور القلب** : فسببه الهمة ، فإن قلبك تابع لهمتك ، فلا يحضر إلا فيما يهمك ، ومهما أهمك أمرٌ ، حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبولٌ على ذلك ومسخر فيه ، فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوطٌ بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خيرٌ وأبقى ، وأن الصلاة وسيلةٌ إليها ، فإذا أُضيف إلى هذا حقيقة العلم بحقارة الدنيا

---

(١) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه عن أبي أيوب ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٤٢) .

(٢) حسن : رواه الديلمي في مسند الفردوس ، وحسنه ابن حجر والألباني في صحيح الجامع رقم (٨٤٩) .

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجة عن جابر ، والطبراني في الكبير عن أبي موسى .

(٤) صحيح : رواه الحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٣٨) .

(٥) حسن : رواه أبو محمد الإبراهيمي في الصلاة وابن النجار عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

ومهماتها ، حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة . وبمثل هذه العلة ، يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ، ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك ، فإذا كان لا يَحضر عند المناجاة مع ملك الملوك ، الذي بيده الملك والملكوت ، فلا تظنن أن له سببًا سوى ضعف الإيمان .

وأمَّا التَّفهم : فهو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ ، وهذا مقامٌ يتفاوت الناس فيه ، إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات ، وكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ، ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ، فيقبل الإنسان على الفكر في المعاني ، ويتشمر لدفع الخواطر .

والتعظيم : يتولد من : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته ، ومعرفة حقارة النفس وخستها ، وكونها عبدًا مربوبًا مسخرًا ، فيتولد من المعرفتين : الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه .

وأما الهيبة : فخوف مصدره الإجلال والتعظيم . وتتولد من المعرفة بقدرة الله ونفوذ مشيئته .

وأمّا الرجاء : فسببه معرفة لطف الله عز وجل ، وكرمه وعميم إنعامه ، ولطائف صنعه ، ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلاة .

وأمّا الحياء : فباستشعاره التقصير في العبادة ، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ، ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها ، وقلة إخلاصها وخبث دخلتها ، وميلها إلى الحظ العاجل ، مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل ، وأنه مطلعٌ على السر وخطرات القلب .

وبقدر الإيمان واليقين بهذه المعاني يخشع القلب »[١].

---

(١) ملخصًا من إحياء علوم الدين ، للغزالي ١/١٩١ - ١٩٢ .

قال ابن القيم : « كان بعض السلف يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ، ثم يقبض على لحيته ويهزها ، ويقول لنفسه : يا مأوى كل سوءٍ ؛ وهل رضيتك لله طرفة عينٍ ... وقال بعضهم : إني لأُصلي ركعتين ، فأقوم عنهما بمنزلة السارق أو الزاني الذي يراه الناس ، حياءً من الله عز وجل »[1] .

وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب ، انقسم الناس إلى غافلٍ يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظةٍ منها ، وإلى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظةٍ ، ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأُسْطُوانَة في المسجد واجتماع الناس عليها . وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم . وكل ذلك غير مستبعدٍ ، فإن أضعافه مشاهدٌ في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا ، مع عجزهم وضعفهم ، وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم ، حتى يدخل الواحد على ملكٍ أو وزيرٍ ويحدثه بمهمته ثم يخرج ، ولو سئل عمن حواليه ، أو عن ثوب الملك ، لكان لا يقدر على الإخبار عنه ؛ لاشتغال همه به ، عن ثوبه وعن الحاضرين إليه ، فحظ كل واحدٍ من صلاته ، بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله - سبحانه - القلوب دون ظاهر الحركات .

صلاة عالي الهِمَّة وحضور قلبه عند كلِّ رُكنٍ وشرطٍ :

أخي : إن كنت من المريدين للآخرة ، فلا تغفل عن الدقائق الفقهية ، ومتابعة السنة في شروط الصلاة وأركانها ، حتى تمتثل أمر رسول الله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أُصلي » ... وتستحضر المعاني في شروط الصلاة من الأذان ، والطهارة، وستر العورة ، واستقبال القبلة والانتصاب قائمًا ، والنية ...

---

(١) مدارج السالكين ٢/٩٤ - ٩٥ .

أخي : إن علت همتك صوت بك حادي الخاشعين ، فسرت معهم ، وإن رمت جوارهم حملوك إلى ديارهم .

عند سماع الأذان : إذا سمعت نداء المؤذِّن ، فأحضر في قلبك هول النـداء يوم القيامة ، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار ، مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ؛ ولذلك قال ﷺ : « أرحنا بها يا بلال » .

قال أحد العباد : ما سمعت النداء ، إلَّا تذكرت هول النداء بالعرض على الله يوم القيامة ... ﴿ **يومئذٍ تُعرضُون لا تخفى منكم خافية** ﴾ [الحاقة : ١٨] .

وأمّا الطهارة : فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ، ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى ، فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك ، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت ، وتصميم العزم على الترك في المستقبل ، فطهر بها باطنك ، فإنها موضع نظر معبودك .

وأمّا ستْر العورة : فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق ، فإن ظاهر بدنك موقعٌ لنظر الخلق ، فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائـرك ، التي لا يطلع عليها إلَّا ربك عز وجل ؟! فأحضر تلك القبائح ببالك ، وطالب نفسك بسترها ، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر ، وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف ، فتستفيد - بإحضارها في قلبك - انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما ، فتذل بها بنفسك ، ويستكين تحت الخجلة قلبك ، وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق ، الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكِسًا رأسه من الحياء والخوف .

وأمّا استقبال القبلة : فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى ، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ، ليس مطلوبًا منك ؟! هيهات فلا مطلوب سواه . وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن ، وضبط للجوارح ، وتسكينٌ لها بالإثبات في جهةٍ واحدة ، حتى لا تبغي على القلب ، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها ، استتبعت القلب ، وانقلبت به عن وجه الله عز وجل ، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك ، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت ، إلّا بالانصراف عن غيرها ، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل ، إلَّا بالتفرغ عما سواه .

« سئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته ؟ فقال : « هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد » . فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه ، فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله ؟ هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية .

وقال ابن مسعود : « لا يجعل أحدكم للشيطان حظًّا من صلاته ، يرى أن حقًّا عليه : أن لا ينصرف إلا عن يمينه ». فجعل هذا القدر اليسير النزر حظًّا ونصيبًا للشيطان من صلاة العبد . فما الظن بما فوقه ؟ »[1].

وأمّا الاعتدال قائمًا : فإنما هو مُثُولٌ بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل ، فليكن رأسك - الذي هو أرفع أعضائك - مطرقًا مطأطئًا متنكِّسًا ، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه ، تنبيهًا على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر ، وليكن على ذكرك هاهنا ، خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال ، واعلم في الحال أنك قائمٌ بين يدي الله عز وجل وهو مطلعٌ عليك ، فقم بين يديه قيامك

---

(١) مدارج السالكين ٢/٩٤ .

بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك ، أنك ملحوظٌ ومرقوبٌ بعينٍ كالئةٍ من رجلٍ صالح من أهلك ، أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح ، فإنه تهدأ وتخشع أطرافك عند ذلك ، خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع ، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبدٍ مسكينٍ ، فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدعين معرفة الله وحبه ، أفلا تستحين من استجرائك عليه ، مع توقيرك عبدًا من عباده ؟! أو تخشين الناس ولا تخشينه ، وهو أحق أن يخشى ؟! فلم جعلته أهون الناظرين إليك ؟ أفكان الله عز وجل أهون عليك من بعض خلقه ؟! .

قال رسول الله ﷺ للرجل الذي استوصاه : « أُوصيك أن تستحيي من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك »[1] .

وأمّا النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة ، وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه ، رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه ، متقلدًا للمنة منه ؛ بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك ، وعظم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي ، وكيف تناجي ، وبماذا تناجي ، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفر وجهك من الخوف ، كما قال ذو النون المصري - رحمه الله - في ذكره لأعلام الإيمان : « وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها » . « لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته ، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده ،

---

(١) إسناده جيد . رواه أحمد في الزهد ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » من حديث سعيد بن يزيد بن الأزور ، وقال الألباني : إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات . انظر الصحيحة رقم (٧٤١) .

خطر على قلبه أن ذلك المقام هو الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله » .

وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك ، فينبغي أن لا يكذبه قلبك ، فإن كان في قلبك شيءٌ هو أكبر من الله سبحانه ، فالله يشهد إنك لكاذبٌ وإن كان الكلام صدقًا ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل ، فأنت أطوع له منك لله تعالى ، فقد اتخذته إلهك وكبرته ، فيوشك أن يكون قولك : « الله أكبر » كلامًا باللسان المجرد ، وما أعظم الخطر في ذلك ، لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه .

وأما دعاء الاستفتاح : فأول كلماته قولك : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » .

فتوجه بقلبك إلى فاطر السموات ، ولا تتوجه به إلى أمانيك وهمك في البيت والسوق ولا تتبع الشهوات . وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، فاجتهد – في الحال – في صرف القلب إلى الله ، وإن عجزت عنه على الدوام ، فليكن قولك في الحال صادقًا .

وإذا قلت : « محياي ومماتي لله » فاعلم أن هذا حال عبدٍ مفقود لنفسه ، موجود لسيده .

وإذا تعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصدٌ لصرف قلبك عن الله عز وجل ، حسدًا لك على مناجاتك مع الله عز وجل ، وسجودك له ، مع أنه لعن بسبب سجدةٍ واحدةٍ تركها ، وأن استعاذتك بالله سبحانه : بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل ، لا بمجرد قولك ، فإن من قصده سبعٌ ليفترسه ، فقال : أعوذ منك بذلك الحصن الحصين ، وهو ثابتٌ على مكانه ، فإن ذلك لا ينفعه ، بل لا يعيذه إلَّا تبديل المكان ؛ فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن ، فلا

يغنيه مجرد القول ، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان .

فإذا قرأ الفاتحة ، فليتدبر أنها كما قال رسول الله ﷺ : « أُمّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم »(١) و « السبع المثاني فاتحة الكتاب »(٢) وأن « ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ أُمُّ القرآن ، وأُم الكتاب ، والسبع المثاني »(٣) وأن « أفضل القرآن : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ »(٤) . وأنها أخير سورة في القرآن الكريم ؛ قال ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما أُنزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها – يعني أم القرآن – وإنها لسَبْعٌ من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته »(٥) . وقال ﷺ : « ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ، مثل أُمِّ القرآن ، وهي السبع المثاني ، قال الله تعالى : وهي مقسومةٌ بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل »(٦) .

وأي فخر للعبد فوق هذا إذا تدبره ، وتدبر أن هذه السورة نزل بها بفضلها ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قبلها قطُّ ، وقال لرسولنا ﷺ : « أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة » .

لو لم يكن لك من صلاتك حظٌّ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته ، فناهيك بذلك غنيمة ، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله ؟!

---

(١) رواه البخاري عن أبي بكر .
(٢) صحيح : رواه أحمد وأبو داود والترمذي والطحاوي عن أبي هريرة وصححه الألباني .
(٣) صحيح : رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .
(٤) صحيح : رواه الحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس ، وصححه الألباني .
(٥) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني .
(٦) صحيح : رواه الترمذي والنسائي عن أبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٦٠) .

وكيف بالتأمين الذي تحسدنا عليه يهود .

انظر إلى الزاهد في السراري ، النّابذ للجواري ، العابد في القفار والبراري : أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري :

« يقول محمد بن عوف الحمصي : رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[(١)]، فلما صلى العتمة قام يصلي ، فاستفتح بـ ﴿ **الحمد لله** ﴾ إلى ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فطفت الحائط كله ، ثم رجعت ، فإذا هو لا يجاوزها ، ثم نمت ، ومررت في السحر ، وهو يقرأ : ﴿ **إياك نعبد** ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح »[(٢)] .

وينبغي أن تحرص على تدبر ما تقرؤه من السور ، فهذا زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **فإذا نُقِر في الناقور** ﴾ [المدثر : ٨] خرَّ ميتًا وكان يصلي الصبح ، وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى : ﴿ **إذا السماء انشقَّتْ** ﴾ [الانشقاق : ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله ، وحق له أنْ يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده ، فإنه عبد ذليل بين يدي جبّارٍ قاهِر ، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر ، والصلاة مفتاح القلوب ، فيها تنكشف أسرار الكلمات ، فهذا حق القراءة ، وهو حق الأذكار والتسبيحات .

والناس في القراءة ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان ، فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولًا ، ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ، ففرْقٌ

---

(١) بلدة من سواحل بحر الشام .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٨٥ - ٩٤ .

بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

وأما دوام القيام ، فإنه تنبيهٌ على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعتٍ واحد من الحضور ، فإن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت ، وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات ، فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة ، فإذا التفت إلى غيره ، فذكِّره باطلاع الله عليه ، وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجي ؛ ليعود إليه ، وخشوع القلب يثمر خشوع الجوارح فإن الرعية بحكم الراعي .

قال عكرمة في قوله عز وجل : ﴿ **الذي يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين** ﴾ [الشعراء : ٢١٨ - ٢١٩] : يرى قيامه وركوعه وسجوده ، في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع .

وأمّا الركوع والسجود : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله عز وجل من عقابه ، بتجديد نِيَّةٍ ، متبعًا سنة نبيه ﷺ ، ثم تستأنف له ذُلًّا وتواضُعًا بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر ذلك ، وعزَّ مولاك واتضاعك وعلوَّ ربِّك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبِّح ربَّك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجيًا أنه راحم لك ، ومؤكِّدًا للرجاء في نفسك بقولك : « سمع الله لمن حمده » ، ثم تُردِف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول : « ربنا لك الحمد » ، وتكثر الحمد بقولك : « ملء السموات وملء الأرض » . ثم تهوي إلى السجود ، وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه ، من أذل الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك ألّا تجعل بينهما حائلًا فتسجد على الأرض ، فافعل ؛

فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل . وإذا وضعت نفسك موضع الذل ، فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : « سبحان ربي الأعلى » ، وأكده بالتكرار ، فإن الكرّة الواحدة ضعيفة الأثر ، فإذا رق قلبك وظهر ذلك ، فلتصدق رجاءك في رحمة الله ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل ، فارفع رأسك مكبِّرًا وسائلًا حاجتك ، وقائلًا : « ربِّ اغفر وارحم ، وتجاوز عمّا تعلم » . ثم أكد التواضع بالتكرار ، فعد إلى السجود ثانيًا .

وأمّا التّشهُّد : فإذا جلست له ، فاجلس متأدِّبًا ، وصرِّح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات الطيبات ، أي من الصفات الطاهرة لله ، وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات ، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ، وقل : « السلام على النبي ورحمة الله وبركاته » ، وليصدق أملك في أنه يبلغه ، ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلامًا وافيًا بعدد عباده الصالحين ، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ، ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة ، مجدِّدًا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ، ومستأنفًا للتحصن بها ، ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور ، مع التواضع والخشوع ، والضراعة والابتهال ، وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد - عند التسليم - السلام على الملائكة والحاضرين ، وانو ختم الصلاة به ، ونِعِمَّا به من ختم تحسدنا عليه يهود .

واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهم أنك مودّع بصلاتك هذه ، وأنك ربما لا تعيش لمثلها ، وقال ﷺ للذي أوصاه : « صلِّ صلاةَ مودِّع » .

ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخف ألَّا تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتًا بذنبٍ ظاهرٍ أو باطن ، فتُردّ صلاتك في وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله .

« **كان يحيى بن وثاب** ، وهو أقرأ من بال على تراب ، إذا قضى صلاته مكث مليًّا تعرف فيه كآبة الصلاة » . **كما** قال الأعمش . وقال أيضًا : « كنت إذا رأيته قد جثا ، قلت : هذا وقف للحساب فيقول : أي رب ، أذنبت كذا فعفوت عني ، فلا أعود ، وأذنبت كذا فعفوت عني ، فلا أعود »[1] .

وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعةً كأنه مريض .

وهذ حاتم الأصم : لما سئل عن صلاته ، قال : أقوم إلى صلاتي ، وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي ، أظنها آخر صلاتي .

فهذا تفصيل عالي الهمة من الخاشعين ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، والذين هم على صلاتهم دائمون ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة ، فبالقدْر الذي يُسّر له منه ، ينبغي أن يفرح ، وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسَّر ، وفي مداراة ذلك ينبغي أن يجتهد[2] .

* * *

---

(١) السير ٤/٣٧٩ - ٣٨٢ .

(٢) ملخصًا من إحياء علوم الدين ١/١٩١ - ٢٠٠ .

□ عُلوّ همّة سيِّد العابِدِين ﷺ □

بأبي وأمي سيّد ولد آدم ﷺ ، من كانت الصلاة أُنسَهُ وميدانه ، وروحه وريحانه ، ونزهته وبستانه ، ونعيمه وعنوانه .

بأبي وأمي ﷺ ... من قال لبلال : « يا بلال ، أقم الصلاة أرحنا بها »[(١)] .

بأبي وأمي سيّد العابدين ﷺ « كان إذا حَزَبَهُ[(٢)] أمْرٌ صَلّى »[(٣)] .

وبأبي وأمي ﷺ ، من قال : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

فإذا سألت عن صلاة الليل وهديه فيها ، فهو سيد المتهجدين ، كما قالت أم المؤمنين رضي الله عنها : « وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » .

وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « صليت مع رسول الله ﷺ فأطال ، حتى همَمت بأمر سوءٍ . قال : قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدَعَهُ » . رواه البخاري ومسلم وابن ماجة .

وعن أنس رضي الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ شيئًا فلما أصبح قيل : يا رسول الله ، إن أثر الوجع عليك لبيِّنٌ . قال : « إني على ما ترون - بحمد الله - قد قرأت السبع الطوال »[(٤)] .

---

(١) صحيح . رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن رجل من خزاعة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٦٦٩) ومشكاة المصابيح رقم (١٢٥٣) .

(٢) أي أصابته شدة .

(٣) حسن : رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٠٣) .

(٤) صحيح . أخرجه أبو يعلى والحاكم في كتاب صلاة التطوع ، وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

أما بكاؤه وخشوعه ﷺ :

فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : « أتيتُ رسول الله ﷺ وهو يصلي وفي صدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء »(١).

وعن عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمير على عائشة – رضي الله عنها – فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيءٍ رأيتيه من رسول الله ﷺ . فبكت وقالت : قام ليلةً من الليالي فقال : « يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي . قالت : قلت : والله إني لأُحبُّ قربك ، وأُحب ما يسرك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بَّل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض ، وجاء بلال يؤذن للصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله ، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا . لقد نزلت عليَّ الليلة آياتٌ ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض** .... ﴾ الآية [آل عمران : ١٩٠] »(٢).

وربما قام الليل كله بآيةٍ حتى الصباح :

وعند ابن ماجة وابن خزيمة : « قام النبي ﷺ بآيةٍ حتى أصبح يرددها والآية : ﴿ **إن تعذّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [المائدة : ١١٨] »(٣).

بأبي وأمي سيد المتهجدين ﷺ .

عن المغيرة بن شعبة : أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه ، فقيل

---

(١) صحيح . رواه أبو داود والترمذي في الشمائل ، وصححه النووي والألباني .

(٢) إسناده جيد . رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي ﷺ » ، وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني .

(٣) حديث صحيح .

له : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا »[١].

وعند البخاري : « إن كان النبي ﷺ ليقوم - أو ليصلي - حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيقول : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

وعند مسلم : حتى ورمت قدماه . وعند مسلم : حتى تفطر رجلاه .

وعند النسائي : حتى تزلع ؛ يعني تشقق قدماه .

بأبي وأمي رسول الله ﷺ ، من كان له القدح المعلّى ، ومن قالت في طول اجتهاده أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما لكم وصلاته ﷺ » .

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في رسولنا ﷺ :

يَبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فراشِهِ إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجِعُ

وقال شوقي رحمه الله :

مُحْيِي الليل صلاةً لا يُقطّعُها إلّا بِدَمْع من الإشفاق مُنْسَجِمِ
مُسَبِّحًا لك جُنْحَ الليلِ محتمِلًا ضرًّا من السُّهْد أو ضُرًّا من الوَرَمِ
رضيَّةً نَفْسه لا تشتكي سَأَمًا وما على الحُبّ إن أخلصتَ مِنْ سَأَمِ[٢]

وهديه ﷺ في التهجد وقيام الليل ، أفردنا له بابًا كاملًا في كتابي السابق « رهبان الليل » ، وهو إن شاء الله كافٍ في صلاة رسولنا ﷺ ليلًا .

علوّ همّة رسولنا ﷺ وحرصه على صلاة الجماعة :

كان صلوات ربي وسلامه عليه أشد الناس اهتمامًا بها ، حتى في أشد الأحوال وأصعبها .

---

(١) رواه البخاري ومسلم - واللفظ له - والترمذي والنسائي .

(٢) الشوقيات لأمير الشعراء ٢٠٧/١ طبع المكتبة التجارية الكبرى .

قيامه ﷺ بأداء الصلاة مع الجماعة في شدَّة المعركة :

روى الإمـام مسلم ، عن جابر رضي الله عنه قال : « غـزونا مع رسول الله ﷺ قوما من جُهينة ، فقاتلونا قتالًا شديدًا ، فلمّا صلينا الظهر قال المشـركون : لو ملنا عليهم ميلةً واحدة لاقتطعناهـم . فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك ، فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ . قال : وقالوا : إنهم ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد . فلما حضرت العصر ، قال : صفّنا صفّين ، والمشركون بيننا وبين القبلة . قال : فكبر رسول الله ﷺ وكبرنا ، وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول ، فلما قاموا ، سجد الصف الثاني ، ثم تأخّر الصف الأول ، وتقدم الصف الثاني فقاموا مقام الأول ، فكبّر رسول الله ﷺ وكبّرنا ، وركع فركعنا ، ثم سجد وسجد معه الصف الأول ، وقام الثاني ، فلما سجد الصف الثاني ، ثم جلسوا جميعًا سلم عليهم رسول الله ﷺ » .

« ويتجلى في هذا الحديث اهتمام الرسول الكريم ﷺ بصلاة الجماعة من عدة وجوهٍ ، منها :

أولًا : أدى رسول الله ﷺ صلاة الظهر مع الجماعة أثناء قتالٍ مع قوم من جهينة ، وكانوا قد قاتلوا المسلمين قتالًا شديدًا .

ثانيًا : أن الاطلاع على قرار المشركين بالإغارة على المسلمين دفعة واحدة ، أثناء تأديتهم صلاة العصر مع الجماعة ، لم يقلل من اهتمامه ﷺ بأدائها في الجماعة .

هـذا ولا يظنن أحد أن النبي الكريم ﷺ صلى مع الجماعة أثناء المعركة ، في يوم واحد فقط ، بل إنه عليه الصلاة والسلام صلّاها في أيام مختلفة ، ومواطن عدة .

يقول الخطابي : « صلاة الخوف أنواع ، وقد صلّاها رسول الله ﷺ

في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة »[١].

« كما ذكر ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلّاها في عشرة مواطن ».

وذكر الإمام أبو بكر ابن العربي أنه ثبت عن النبي ﷺ ، أنه صلّى صلاة الخوف مرارًا عدة بهيئاتٍ مختلفة ، فقيل في مجموعها : إنها أربع وعشرون صفة ، ثبت فيها ست عشرة صفة »[٢][٣].

علوّ همّته في الخروج إلى صلاة الجماعة مع شدة مرضه :

روى البخاري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : قال : دخلت على عائشة - رضي الله عنها - فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قالت : بلى ، ثقل النبيُّ ﷺ فقال : « أصلَّى الناس ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونك . قال : « ضعوا لي ماءً في المِخْضب »[٤]. قالت : ففعلنا ، فاغتسل فذهب لِيَنُوءَ[٥] فأُغمي عليه ، ثم أفاق ﷺ فقال : « أصلى الناس ؟ » . قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : « ضعوا لي ماء في المخضب » . قالت : فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه ، ثم أفاق فقال : « أصلّى الناس ؟ » . قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال ﷺ : « ضعوا لي ماء في المخضب » . فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه ثم أفاق ، فقال : « أصلّى الناس ؟ » فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . والناس عكوف في المسجد ، ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر - رضي الله عنه - بأن يصلي بالناس . فأتاه

---

(١) معالم السنن ١/٢٦٩ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٩١ .

(٣) أهمية صلاة الجماعة ، للدكتور فضل إلهي ص٦٦ - ٦٧ .

(٤) المِخْضَب أي الإجانة .

(٥) ليقوم لفظا ومعنى .

الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس . فقال أبو بكر رضي الله عنه- وكان رجلًا رقيقًا-: يا عمر ، صلِّ بالناس . فقال له عمر- رضي الله عنه -: أنت أحقُّ بذلك . فصلى أبو بكر تلك الأيام ... الحديث[١] .

الله أكبر ... كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصًا على حضور صلاة الجماعة ، يشتد مرضه فيغتسل ، ثم يُغمى عليه فيفيق ، فيغتسل للمرة الثانية ، ثم يُغمى عليه فيفيق ، فيغتسل للمرة الثالثة ، كل ذلك لعله ﷺ يكسب نشاطًا يمكنه - بفضل الله تعالى - من حضور صلاة الجماعة في المسجد ، ثم يُغمى عليه فيفيق ، فيجد نفسه غير قادرٍ على الذهاب إلى المسجد ، فيرسل إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - كي يصلي بالناس ... وليس هذا فحسب ، بل نجده ﷺ يخرج إلى صلاة الجماعة في المسجد ، حينما وجد من نفسه خفَّةً .

فكيف كانت الخفّة ، وكيف كان خروجه عليه الصلاة والسلام ، كي نتصور ذلك ، فلنقرأ ما رواه الإمام البخاري ، عن عائشة رضي الله عنها : « فوجد النبي ﷺ من نفسه خفّة ، فخرج يُهادَى[٢] بين رجُلين ، كأني أنظر رجليه تخطان[٣] من الوجع .... »[٤]. الحديث .

سبحان الله ... لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلّا اعتمادًا على رجُلين ، وحتى بعد ذلك ، لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض ؛

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب : إنما جعل الإمام ليؤتم به .

(٢) أي يعتمد على الرجلين متمايلًا في مشيه من شدة الضعف .

(٣) لم يكن يقدر على رفعهما من الأرض .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب : حد المريض أن يشهد الجماعة .

نظرًا لشدة ضعفه ، لكنه مع هذا كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد[١] .

* * *

(١) أهمية صلاة الجماعة ، للدكتور فضل إلهي ص٦٨ - ٦٩ .

□ علوّ همَّة السلف وعنايتهم بصلاة الجماعة [(١)] □

لسلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم - رضي الله عنهم - مواقف تدل على علو هممهم وعنايتهم بصلاة الجماعة ، وحرصهم على دعوة الآخرين لأدائها ، ويتجلى ذلك في :

ا - اختيار مكان بعيد من المسجد كي يكثر الثواب .
ب - المسارعة إلى صلاة الجماعة .
جـ - المداومة على حضور صلاة الجماعة .
د - حضور صلاة الفجر ليلة الزواج .
هـ - ترْك العلاج حرصًا على جماعة العشاء والفجر .
و - حضور المرضى صلاة الجماعة .
ز - الذهاب إلى المسجد في أصعب الظروف .
ح - الحرص على الموت في انتظار صلاة الجماعة .
ط - الذهاب إلى مسجد آخر عند فوات جماعة في مسجد .
ى - حثّ الابن على ملازمة المسجد .
ك - مساءلة الابن عن حضور صلاة الجماعة .
ل - تأديب الابن على التّأخُّر عن صلاة الجماعة .
م - الدعوة إلى المحافظة على صلاة العشاء والفجر في جماعة في المرض الأخير .
ن - اهتمام وليّ أمر المسلمين بصلاة الجماعة .

اختيار مكانٍ بعيد من المسجد كي يكثُر ثوابُه :

روى الإمام مسلم ، عن أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - قال :

---

(١) للدكتور فضل إلهي في كتابه « أهمية صلاة الجماعة » فصلٌ طيب ، أتينا بالكثير منه تحت هذا العنوان ، والله يُثيبه خيرًا على جمعه .

كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيتٍ في المدينة ، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ . قال : فتوجعنا له ، فقلت له : يا فلان ، لو أنك اشتريت حمارًا يقيك من الرمضاء ويقيك من هوام الأرض . قال : أما والله ، ما أُحبّ أن بيتي مُطَنَّبٌ[1] ببيت محمدٍ ﷺ . قال : فحملت به حملًا ، حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته . قال : فدعاه فقال له مثل ذلك ، وذكر له أنه يرجو في أثره الأجر ، فقال له النبي ﷺ : « إن لك ما احتسبت » .

وفي رواية أخرى أنه قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي . فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله » .

وفي رواية ابن حبان : « أعطاك الله ذلك أجمع . أنطاك[2] الله ما احتسبت أجمع »[3].

ما أطيبها وأزكاها ، وأجل همته وأعلاها .

ب - المسارعة إلى صلاة الجماعة :

انظر إلى علو همة عمر بن عبد العزيز في المسارعة إلى صلاة الجماعة .

روى ابن سعد في الطبقات ، عن سليمان بن موسى قال : « رأيت مؤذّن عمر بن عبد العزيز وهو خليفة بخناصرة[4] يسلم على بابه : السلام

---

(١) مطنّب : مشدود بالأطناب وهي الحبال إلى بيت النبي ﷺ ، بل أُحِبّ أن يكون بعيدًا منه لتكثير ثوابي وخطاي إليه . شرح النووي ١٦٨/٥ .

(٢) أنطاك الله معناه : أعطاك الله . وهو لغة أهل اليمن ، كما جاء في النهاية لابن الأثير ٧٦/٥ .

(٣) رواه ابن حبان رقم (٢٠٤١) . وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) خُناصرة : بليدة من أعمال حلب نحو البادية .

عليك أمير المؤمنين ، ورحمة الله . فما يقضي حتى يخرج إلى الصلاة »[١] .

ج - المداومة على حضور الجماعة :

سيمر بك ذلك عند ذكر سعيد بن المسيب وربيعة بن يزيد والأعمش .

د - حضور صلاة الفجر ليلة الزواج :

انظر إلى علو همة الصحابي الحارث بن الحسان ، تزوج في ليلة من الليالي ، فحضر صلاة الفجر مع الجماعة .

روى الإمام الطبراني ، عن عنبسة بن الأزهر قال : « تزوج الحارث ابن حسان وكان له صحبة ، فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة ؟ فقال : والله ! إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمعٍ لامرأة سوءٍ »[٢] .

هـ - تَرْك العلاج حرصًا على جماعة العشاء والفجر :

كما سيأتي في خبر ابن المسيب لما اشتكى عينه ... وكيف أنه تحمل مرض العين ، وما تحمل تفويت صلاتي العشاء والفجر في جماعة .

لا تقعُدَنَّ لذِكْرِنا في ذِكْرِهم ليس الصحيحُ إذا مَشَى كالمُقْعَدِ

و - حضور المرضى صلاة الجماعة :

لله دَرُّهم من مرضى .... لا ، بل والله نحن المرضى ... مرضى القلوب .

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود : « ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها

---

(١) الطبقات الكبرى ٣٥٩/٥ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع ٤١/٢ : رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن .

إلَّا منافقٌ معلومُ النفاقِ . ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف » .

وروى الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه ١/٣٥٠ : « عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنه كان يُحمل وهو مريض إلى المسجد » .

لله در مقرئ الكوفة ، **الإمام العلم عبد الله** بن حبيب بن ربيعة **أبي عبد** الرحمن السلمي .

وليس هذا فحسب ، بل كان يأمر بحمله في اليوم المطير إلى المسجد ، حيث كانت تجتمع له رخصتان للتخلف عن المسجد ، وهما : المرض والمطر .

فقد أخرج الإمام ابن المبارك في الزهد : « عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، أنه كان يأمرهم أن يحملوه في الطين والمطر إلى المسجد وهو مريض »[١] .

ز - الذهاب إلى المسجد في أصعب الظروف :

« قيل لسعيد بن المسيب : إن طارقًا يريد قتلك ؛ فتغيب . فقال : أبحيث لا يقدر الله عليّ ؟ فقيل له : اجلس في بيتك . فقال : أسمع : حي على الفلاح ، ولا أجيب ؟! »[٢] .

ح - الحرْص على الموت في حالة انتظار الجماعة :

وانظر إلى حرص أبي عبد الرحمن السلمي ، أن يأتيه الموت وهو في انتظار الصلاة في المسجد ، ولذا رفض الانتقال من المسجد إلى فراشه لما حضرته المنية .

---

(١) الزهد لابن المبارك ص١٤١ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٢/٦ .
(٢) تفسير القرطبي ٢٥١/١٨ .

عن عطاء بن السائب قال : دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي وهـو يُقضي - أين ينزع - في المسجـد ، فقلنا له : لو تحولت إلى الفراش ، فإنه أوثر - قال الحسين ، أحد الرواة : أوثر : أوطأ - قال : حدثني فلانٌ أن النبي ﷺ قال : « لا يزال أحدكم في صلاةٍ ما دام في مصلّاه ينتظر الصلاة »[(١)] .

وفي رواية ابن سعد : « والملائكة تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » . قال أبو عبد الرحمن السلمي : « فأريد أن أموت وأنا في مسجدي »[(٢)].

ط - الذهاب إلى مسجدٍ آخر عند فوات جماعة في مسجد :

نقل البخاري عن الأسود ، أنه إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجدٍ آخر[(٣)].

ى - حَثّ الابن على ملازمة المسجد :

قال أبو الدرداء لابنه : يا بني ، ليكن المسجد بيتك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن المساجد بيوت المتقين ، فمن كانت المساجد بيوته ، ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة »[(٤)].

ك - مُساءَلَة الابن عن حضور صلاة الجماعة :

روى عبد الرزاق ، عن مجاهد قال : « سمعت رجلًا من أصحاب النبي

---

(١) الزهد لابن المبارك ص١٤١ - ١٤٢ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧٤/٦ - ١٧٥ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب : فضل صلاة الجماعة ١٣١/٢ . ووصله ابن أبي شيبة في المصنف ، وقال ابن حجر ١٣١/٢ . إسناده صحيح .
(٤) الزهد لهنّاد ٣٦٢/٢ . وقال محقق الكتاب ، الشيخ محمد أبو الليث الخير آبادي : إسناده صحيح .

ﷺ - قال : لا أعلمه إلَّا من شهد بدرًا - قال لابنه : أدركت الصلاة معنا ؟ قال : أدركت التكبيرة الأُولى ؟ قال : لا . قال : لَمَا فاتك منها خيرٌ من مائة ناقةٍ ، كلها سود العين »[١] .

ل - تأديب الابن على التّأخُر عن صلاة الجماعة :

ذكر الذهبي في السير (١١٦/٥) : « عن يعقوب عن أبيه ، أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه عمر إلى المدينة ، يتأدّب بها ، وكتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده ، وكان يلزمه الصلوات ، فأبطأ يومًا عن الصلاة ، فقال : ما حبسك ؟ قال : كانت مُرجِّلَتي تُسَكِّن شَعري . فقال : بلغ من تسكين شعرك ، أن تؤثره على الصلاة . وكتب بذلك إلى والده ، فبعث عبد العزيز رسولًا إليه ، فما كلمه حتى حلق شعره » .

م - الدعـوة إلى المحافظة على صلاة الفجر والعشاء في جماعـةٍ في المرض الأخير :

روى ابن أبي شيبة عن ابن أبي ليلى ، عن أبي الدرداء « أنه قال في مرضه الذي مات فيه : ألا احملوني . فحملوه ، فأخرجوه ، فقال : اسمعوا وبلِّغوا من خلفكم : حافظوا على هاتين الصلاتين العشاء والصبح ، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموها ولو حبوًا على مرافقكم وركبكم »[٢] .

ن - اهتمام وليّ الأمر بصلاة الجماعة :

قال ثابت بن الحجاج : « خرج عمر بن الخطاب إلى الصـلاة ، فاستقبل الناس ، فأمر المؤذن فقام وقال : والله ، لا ننتظر لصلاتنا أحدًا .

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ، كتاب الصلاة ، باب : فضل الصلاة في جماعة ١/ ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ، كتاب الصلوات ، في التخلف في العشاء والفجر وفضل حضورهما .

فلما قضى صلاته ، أقبل على الناس ثم قال : ما بال أقوامٍ يتخلفون ، يتخلف بتخلفهم آخرون ، والله لقد هممت أن أُرسل إليهم ، فيجأ في أعناقهم[(١)]، ثم يقال : اشهدوا الصلاة »[(٢)] .

وكان الفاروق يتفقد الناس في صلاة الجماعة ، فقد روى مالك ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة « أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح ، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي ، فمر على الشفاءِ أُمِّ سليمان ، فقال لها : لم أر سليمان في الصبح . فقالت : إنه بات يصلي ، فغلبته عيناه . فقال عمر : لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة ، أحبُّ إليّ من أن أقوم ليلةً »[(٣)] .

وروى ابن أبي شيبة ، عن هشيم عن أبيه ، قال : « فقد عمر - رضي الله عنه - رجلًا في صلاة الصبح ، فأرسل إليه فجاء ، فقال : أين كنت ؟ فقال : كنت مريضًا ، ولولا أن رسولك أتاني لَمَا خرجت . فقال عمر : فإن كنت خارجًا إلى أحدٍ ، فاخرج للصلاة »[(٤)].

وانظر إلى علوَّ همة الفاروق ، وإعانته الناس على صلاة الجماعة .

فقد روى ابن سعد ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، قال : « جاء عمر - رضي الله عنه - إلى سعيد بن يربوع ؛ إلى منزله ، فعزّاه بذهاب بصره ، وقال : لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول الله

---

(١) فيجأ في أعناقهم : أي يضرب في أعناقهم . (الصحاح ١/٨٠) .
(٢) كنز العمال : ٢٥٢/٨ كتاب الصلاة من قسم الأفعال ، الباب الخامس : في الجماعة وفضلها ، فصل في فضلها .
(٣) الموطأ ، كتاب صلاة الجماعة ، باب : ما جاء في العتمة والصبح ١/١٣١ .
(٤) المصنف لابن أبي شيبة ، كتاب الصلوات ، من قال : إذا سمع المنادي فليجب .

ﷺ . قال : ليس لي قائد . قال : فنحن نبعث إليك بقائد . فبعث إليه بغلامٍ من السبي » .

وانظر إلى علوّ همة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه كان يمرّ في الطريق مناديًا : « الصلاة ، الصلاة » يوقظ الناس لصلاة الفجر ، وكان رضي الله عنه يفعل ذلك كل يومٍ .

فقد روى ابن سعد في طبقاته (٣/٣٦ – ٣٧) عن الحسن رضي الله عنه ، يحدث عن خروج عليٍّ اليوم الذي طعن فيه من بيته ، حيث يقول : « فلمّا خرج من الباب نادى : أيها الناس ، الصلاة الصلاة . كذلك كان يفعل في كل يومٍ ، ومعه دِرَّته يوقِظ الناس » .

وكان أمير مكة من قبل النبي ﷺ ، وهو عتّاب بن أُسَيد الأموي – رضي الله عنه – يهدّد بضرب عنق من تخلف عن الصلاة في المسجد في الجماعة .

فقد ذكر الإمام ابن القيم أنه خطب أهل مكة وقال : « يا أهل مكة ، والله ، لا يبلُغُني أن أحدًا منكم تخلّف عن الصلاة في المسجد في الجماعة ، إلَّا ضربتُ عنقه »[1]. يقول الإمام ابن القيم : « وشكر له أصحابُ رسول الله ﷺ هذا الصنيع ، وزاده رفعة في أعينهم » . فأين نحن من هؤلاء .

السَّيِّدُ المتعبِّدُ المتجرد السّابِق الوامِق ، سيّد المؤذِّنين وخازِن الرسول الأمين ، بلالُ بن رَبَاحٍ رضي الله عنه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال لبلال ، عند صلاة الفجر : « يا بلال ، حدثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام ؛ فإني سمعت

---

(١) كتاب الصلاة ص٨١ . وهذه أيام الردة بعد وفاة النبي ﷺ .

دف نعليك بين يدي في الجنة » . قال : ما عملت عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورًا ، في ساعة ليلٍ أو نهارٍ ، إلّا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أُصلي .

رواه البخاري ومسلم وأحمد .

ودف نعليك ؛ قال البخاري : يعني تحريك نعليك .

وعند أحمد : ما أحدثت إلَّا توضأت وصليت ركعتين .

وهذه منقبةٌ عظيمة لبلال من إدامته الوضوء والصلاة عند كل وضوء ... وقرب منزلته من رسول الله ﷺ .. فلله درُّه من سيدٍ يبيت طاهرًا ، وتعرج روحه فتسجد تحت العرش . فرضي الله عنه .. ورضي الله عن عمر الذي يعرف قدر الرجال بقوله : « أبو بكرٍ سيِّدُنا ، وأعْتَقَ سيِّدَنا » . يعني بلالًا .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

« قيل لنافع : ما كان يصنع ابن عمر في منزله ؟ قال : لا تطيقونه ، الوضوء لكل صلاةٍ ، والمصحف فيما بينهما »[1] .

وعن نافع : أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعةٍ ، أحيا بقية ليلته[2] .

وعن محمد بن زيد : أن ابن عمر كان له مهراس فيه ماء ، فيصلي فيه ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش ، فيغفي إغفاءة الطائر ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ، يفعل ذلك في الليل أربع مراتٍ أو خمسة[3] .

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٧٠/٤ . ورجاله ثقات .

(٢) الحلية ٣٠٣/١ . ورجاله ثقات .

(٣) رجاله ثقات . سير أعلام النبلاء ٢١٥/٣ ، والمهراس : صخرة منقورة تسع كثيرًا من الماء ، وقد يُعمل منها حياض للماء .

« قال طاووس : ما رأيت مصلّيًا مثل ابن عمر أشد استقبالًا للقبلة بوجهه وكفيه وقدميه .

وروى نافع : أن ابن عمر كان يحيي بين الظهر إلى العصر .

وعن عبد الله بن واقد : رأيت ابن عمر يصلي ؛ فلو رأيته ، رأيته مُقْلَوْليًا »[1][2].

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب رضي الله عنه :

« عن سعيد بن المسيب : أن أبا سفيان بن الحارث كان يصلي في الصيف نصف النهار ، حتى تُكره الصلاة ، ثم يصلي من الظهر إلى العصر »[3].

عَدِيّ بن حاتم الطائيّ رضي الله عنه :

الأمير الشريف ، أبو وهب وأبو طريف الطائي رضي الله عنه ، صاحب النبي ﷺ .

قال ابن عيينة : حُدِّثتُ عن الشعبي ، عن عدي ، قال : ما دخل وقت صلاةٍ حتى أشتاق إليها .

وعنه : ما أُقيمت الصلاة منذ أسلمت ، إلَّا وأنا على وضوءٍ[4].

هذا شوق الصحابة للعبادة .

ومِنْ عَجَبٍ أنّي أحِنُّ إليهمُ ... وأسأَلُ شوقًا عنهمُ وهُمُ معي
وتبكيهمُ عيني وهُمْ في سَوَادِها ... ويشكو النَّوى قلبي وهمْ بَيْنَ أضْلعي

---

(١) مقلوليًا : المتجافي المستوفز . وفلان يتقلَّى على فراشه : يتململ ولا يستقر .
(٢) السير ٢٢٣/٣ - ٢٣٥ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣٦١/٤ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٥/١ .
(٤) السير ١٦٤/٣ .

تَمِيم الدَّارِيّ أبو رُقَيَّة رضي الله عنه :

عن محمد بن سيرين : « أن تميمًا الداري كان يقرأ القرآن في ركعةٍ »[١] .

وعن مسروق : قال لي رجلٌ من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري ، صلى ليلةً حتى أصبح أو كاد ؛ يقرأ آيةً يرددها ويبكي : ﴿ **أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيئاتِ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾[٢] [الجاثية : ٢١] .

وعن المنكدر بن محمد ، عن أبيه : « أن تميما الداري نام ليلةً لم يقم يتهجد ، فقام سنةً لم ينم فيها ، عقوبة للذي صنع »[٣].

أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه :

عن حميد بن هلال قال : كان أبو رفاعة العدوي يقول : « ما عزبت عني سورة البقرة منذ علمنيها رسول الله ﷺ ، أخذت معها ما أخذت من القرآن ، وما وجع ظهري من قيام الليل قطُّ »[٤] .

قال الذهبي في السير (٣/ ١٥) : « كان أبو رفاعة ذا تعبُّد وتهجد .

قال حميد بن هلال : خرج أبو رفاعة في جيشٍ عليهم عبد الرحمن ابن سمرة ، فبات تحت حصنٍ يصلي ليله ، ثم توسد ترسه فنام ، وركب أصحابه وتركوه نائمًا ، فبصر به العدو ، فنزل ثلاثة أعلاجٍ فذبحوه ،

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣/٣٥٩ .

(٢) رجاله ثقات . أخرجه الطبراني برقم (١٢٥٠) . ونسبه في الإصابة إلى البغوي في الجعديات .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣/٣٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٤٤٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/٦٩ . ورجاله ثقات .

رضي الله عنه »[١].

عبدُ الله بنُ الزبير بن العوَّام حمامُ المسجد رضي الله عنه :

قال مجاهد : كان ابن الزبير إذا قام إلى الصلاة كأنه عود ، وحدث أن أبا بكر رضي الله عنه كان كذلك .

قال ثابت البناني : « كنت أمر بابن الزبير وهو خلف المقام يصلي ، كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك » .

« وروى يوسف بن الماجشون ، عن الثقة يُسنده قال : قسم ابن الزبير الدهر على ثلاثة ليالٍ : فليلة هو قائم حتى الصباح ، وليلة هو راكع حتى الصباح ، وليلة هو ساجد حتى الصباح »[٢] .

وعن مسلم بن يناق قال : « ركع ابن الزبير يومًا ركعة ، فقرأْنا بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، وما رفع رأْسَهُ »[٣].

وعن عمرو بن دينار قال : كان ابن الزبير يصلي في الحجر والمنجنيق يصب توبه[٤] فما يتلفت .

وعن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن تصفقه الريح ، وحجر المنجنيق يقع هاهنا[٥].

« وعن عمر بن قيس ، عن أُمه : أنها دخلت على ابن الزبير بيته ، فإذا هو يصلي ، فسقطت حَيَّةٌ على ابنه هاشم ، فصاحوا : الحية الحية ، ثم

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٩/٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٣ . ورجاله ثقات .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٤٠٠/٧ .

(٣) ابن عساكر ٤٠٠/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٣٦٩/٣ .

(٤) حجر المنجنيق .

(٥) حلية الأولياء ٣٣٥/١ .

رموها ، فما قطع صلاته »[١] .

وعن مجاهد : ما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه ابن الزبير ، ولقد جاء سيلٌ طبق البيت ، فطاف سباحةً[٢] .

وعن عثمان بن طلحة قال : كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة : شجاعة ، ولا عبادة ، ولا بلاغة[٣] .

سُهيلُ بنُ عمرو خطيبُ قريشٍ رضي الله عنه :

« لما أسلم كان كثير الصلاة والصوم والصدقة ، وخرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا ، ويقال : إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغير ، وكان كثير البكا إذا سمع القرآن »[٤] .

سيِّدُ العُبّاد ، وعَلَمُ الأصفياءِ من الزُّهّاد ، وسيّدُ التّابِعين ، التَّقِيُّ أُوَيْسُ ابنُ عامرٍ القَرَنيُّ :

سماه الشاطبي (سيد العباد بعد الصحابة) لما عرف عنه من كثرة العبادة .

عن الربيع بن خثيم أنه قال : أتيت أُويسًا القرني ، فوجدته قد صلى الصبح وقعد ، فقلت : لا أشغله عن التسبيح ، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر ، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر ، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب ، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء ، فلما صلى العشاء ، صلى إلى الصبح ، فلما صلى الصبح جلس ، فأخذته عينه ، ثم انتبه فسمعته يقول : « اللهم إني أعوذ بك من عينٍ نوامة ، وبطن لا

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٤٠١/٧ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٤٠١/٧ .
(٣) السير ٣٧٠/٣ .
(٤) السير ١٩٤/١ - ١٩٥ .

تشبع »[١] .

رحم الله سيد التابعين أبا عمرو أويسًا . لله ما أعلى همته ، يعاتب نفسه على إغفاءةٍ خاطفة . « ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاقٌّ على الدوام ، ومع هذا لا يعتبر مخالفًا للسنة ، بل إنه من السابقين الأولين ، ألم يكن الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه » .

« عن أصبغ بن زيد قال : كان أُويس إذا أمسى يقول : هذه ليلة الركوع . فيركع حتى يصبح ، وكان إذا أمسى يقول : هذه ليلة السجود . فيسجد حتى يصبح »[٢] .

وكان - رحمه الله - يقول : « لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء » .

سيِّدُ التّابِعِين سعيدُ بن المسيِّب :

سيد في العلم والعمل . كان كاسمه بالطاعات سعيدًا ، ومن المعاصي والجهالات بعيدا ، متمكن من الخدمة ، حافظ للحرمة .

« عن أبي حرملة ، عن ابن المسيب قال : ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة .

وقال : ما فاتتني التكبيرة الأُولى منذ خمسين ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة »[٣] .

وعن عثمان بن حكيم : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلّا وأنا في المسجد[٣] .

---

(١) الزُّهّاد الأوائل لمصطفى حلمي ٨٤ - ٨٩ ، والاعتصام ٣٠٩/١ ، وتنبيه المغترين ص١١٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٠/٤ .

(٣) الحلية ١٦٢/٢ ، ١٦٣ .

قال الذهبي : إسناده ثابت .

« وعن ابن شهاب : قلت لسعيد بن المسيب : لو تبديت . وذكرت له البادية وعيشها والغنم ، فقال : كيف بشهود العتمة ؟! »[١] .

وعن بشر بن عاصم قال : قلت لسعيد بن المسيب : يا عم ، ألا تخرج فتأكل اليوم مع قومك ؟ قال : معاذ الله يا ابن أخي ، أدع خمسًا وعشرين صلاة خمس صلوات ؟!.

« وعن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه اشتكى عينه ، فقالوا : لو خرجت إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة ، لوجدت لذلك خفة . قال : فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح »[٢] .

وعن ابن حرملة : قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال : ما أدري، إنه ليصلي صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ ﴿ **ص والقرآن ذي الذِّكْر** ﴾[٣] [صٓ : ١].

وعن برد مولى ابن المسيب قال : ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلَّا وسعيد في المسجد .

قال الأوزاعي : كانت لسعيد بن المسيب فضيلةٌ لا نعلمها كانت لأحدٍ من التابعين ، لم تفته الصلاة في جماعةٍ أربعين سنة ، عشرين منها لم ينظر في أقفية الناس .

قال سعيد : ما نظرت في أقفاء قومٍ سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنة .

---

(١) ابن سعد ٥/١٣١ .

(٢) ابن سعد ٥/١٣٢ ، والحلية ٢/١٧٣ .

والعقيق : موضع ناحية المدينة فيه عيون ونخل .

(٣) طبقات ابن سعد ٥/١٣٢ .

قال سعيد بن المسيب : من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادةً .

وقال رحمه الله : ما دخل عليَّ وقت صلاة إلّا وقد أخذت أُهبتها ، ولا دخل عليّ فضاء فرض إلّا وأنا إليه مشتاق[١].

أبو عائشة مسروق بن عبد الرحمن الهمداني الكوفي :

العالم بربه ... الهائم بحبه ، الذاكر لذنبه ، في العلم معروق ، وبالضمان موثوق ، ولعباد الله معشوق ، المشمر للورود واللحوق ، والمتبصر في الوجود والطروق الإمام القدوة العلم مسروق .

عن أبي إسحاق قال : حج مسروق فما بات إلّا ساجدًا .

وقال العلاء بن هارون : حج مسروق فما افترش إلا جبهته حتى انصرف .

قال سعيد بن جبير : لقيني مسروق فقال : يا سعيد ، ما بقي شيءٌ يرغب فيه إلّا أن نعفر وجوهنا في التراب ، وما آسى على شيءٍ إلا السجود لله تعالى .

وعن أبي الضحى : كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب ، وكان يقول لأهله : هاتوا كل حاجةٍ لكم ، فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة .

وعن إبراهيم بن محمد بن المنتشر : كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله ، ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم[٢] .

كانت امرأة مسروق تقول : والله ما كان مسروق يصبح ليلةً من الليالي إلّا وساقاه منتفختان من طول القيام ، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمةً له ، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب ، صلّى جالسًا ولا يترك

---

(١) الحلية ١٦٢/٢ - ١٦٣ .

(٢) الحلية ٩٥/٢ - ٩٦ .

الصلاة ، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف(١) .

رحمك الله أبا عائشة ، تبكي زوجك خلفك وأنت تتهجد رحمةً لك ... لسان حالكم يقول :

أُمسي وأُصبحُ مِنْ تذكاركم قَلقًا ... يرثى لي المُشفقان الأهلُ والولدُ
قد خدَّدَ الدمعُ خدّي من تَذَكُّرِكم ... واعتادني المُضنِيانِ الشَّوقُ والكَمَدُ
وغاب عن مُقْلَتي عيني ونافِرُها ... وخانني المُسعِدان الصَّبْرُ والجَلَدُ

تزحف كما يزحف البعير من التعب :

لا غَرْوَ للدَّمْعِ أن تجري غَوارِبُه ... وتحتَهُ الخافقانِ القلبُ والكَبِدُ
لم يبقَ إلَّا خفيّ الرُّوحِ من جسدي ... فداؤك الباقيانِ الرُّوحُ والجَسَدُ(٢)

أبو مسلم الخولاني المُتَسَلِّي بالأوراد والنوب ، الخولانيُّ عبدُ الله بن ثوب ، حكيم الأُمّة ومُمثِّلُها ، ومُديم الخِدمة ومُحَرِّرُها :

عن شرحبيل ، أن رجلين أتيا أبا مسلمٍ فلم يجداه في منزله ، فأتيا المسجد فوجداه يركع فانتظراه ، فأحصى أحدهما أنه ركع ثلاثمائة ركعة ، والآخر أربعمائة ركعة ، قبل أن ينصرف ، فقال له : يا أبا مسلم ، كنا قاعدين خلفك ننتظرك . فقال : إني لو عرفت مكانكما ، لا نصرفت إليكما أن تحفظا عليّ صلاتي ، وأقسم لكما بالله ، إن خير كثرة السجود ليوم القيامة(٣) .

وعن عثمان بن أبي العاتكة : علق أبو مسلم سوطًا في المسجد ، فكان يقول : أنا أولى بالسوط من البهائم ، فإذا فتر مشق(٤) ساقيه سوطًا أو

---

(١) تنبيه المغترين .
(٢) المدهش .
(٣) تاريخ ابن عساكر ١٧/٩ .
(٤) أي ضربها بسرعة .

سوطين . قال : وكان يقول : لو رأيت الجنة عيانًا أو النار عيانًا ، ما كان عندي مستزاد[١] .

وقال رحمه الله : لو قيل لي : إن جهنم تسعر ، ما استطعت أن أزيد في عملي .

رحم الله أبا مسلم حكيم هذه الأمة ، القائل : « أيظن أصحاب محمدٍ ﷺ أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالًا » .

عامر بن عبد قيس :

راهب هذه الأمة كما قاله كعب الأحبار .

عن الحسن ، أن عامرًا كان يقول : من أُقرئ ؟ فيأتيه ناس فيقرئهم القرآن ثم يقوم فيصلي إلى الظهر ، ثم يصلي إلى العصر ، ثم يقرىء الناس إلى المغرب ، ثم يصلي ما بين العشاءين ، ثم ينصرف إلى منزله فيأكل رغيفًا ، وينام نومةً خفيفةً ، ثم يقوم لصلاته ، ثم يتسحر رغيفًا ويخرج[٢] .

وعن أبي الحسين المجاشعي قال : قيل لعامر بن عبد قيس : أتُحَدِّث نفسك في الصلاة ؟ قال : أُحدّثها بالوقوف بين يدي الله ومنصرفي[٣] .

قال الذهبي في السير (٤/١٨) : « قيل : كان عامر لا يزال يصلي من طلوع الشمس إلى العصر ، فينصرف وقد انتفخت ساقاه فيقول : يا أمّارة بالسوء ، إنما خلقت للعبادة »[٤] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٩ .

(٢) تاريخ الإسلام ٣/٢٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/١٧ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ص٣٤٠ ، وتاريخ الإسلام ٣/٢٧ .

« هبط عامر واديًا به عابدٌ حبشي ، فانفرد يصلي في ناحيةٍ ، والحبشي في ناحيةٍ أربعين يومًا ، لا يجتمعان إلَّا في فريضة »[1].

« قيل لعامر بن عبد قيس : أما تسهو في صلاتك ؟ قال : أَوَ حديث أحَبّ إليّ من القرآن حتى أشتغل به !! هيهات ، مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس »[2].

القُدوة الرَّبَّانيُّ أبو يزيدٍ الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْم :

المخبت الورع ، المتثبت القنع ، الحافظ لسره ، والضابط لجهره ، المعترف بذنبه ، المفتقر إلى ربه .

كان رحمه الله يقول : إني لآنس بصوت عصفور المسجد عن أُنسي بزوجتي .

وكان رحمه الله إذا سجد كأنه ثوبٌ مطروحٌ ، فتجيء العصافير فتقع عليه .

« وكان - رحمه الله - بعدما سقط شقه يهادى بين رجلين إلى مسجد قومه ، وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقولون : يا أبا يزيد ، لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك . فيقول : إنه كما تقولون ، ولكني سمعته ينادي : حيّ على الفلاح ، فمن سمع منكم : حيّ على الفلاح ، فليجبه ولو زحفًا ، ولو حبوًا .

وعن أبي حيان التيمي عن أبيه ، قال : أصاب الربيع الفالج ، فكان يحمل إلى الصلاة ، فقيل له : أنه قد رخص لك . قال : قد علمت ، ولكن أسمع النداء بالفلاح »[3].

---

(١) تاريخ الإسلام ٢٧/٣ .

(٢) المدهش ص٤٧٢ .

(٣) الحلية ١١٣/٢ ، ١١٤ .

قال عبد الرحمن بن عجلان : بتُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلةٍ ، فقام يِصلي ، فمر بهذه الآية : ﴿ **أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات** ... ﴾ الآية [الجاثية : ٢١] ، فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاءٍ شديد .

وكان أصحابه يعلمون شعره عند المساء - وكان ذا وفرةٍ - ثم يصبح والعلامة كما هي ، فيعرف أن الربيع لم يضع جنبه ليلهُ على فراشه .

قال سفيان : بلغنا أن أُمّ الربيع بن خُثيم كانت تنادي ابنها الربيع ، فتقول : يا ربيع ، ألا تنام ؟ فيقول : يا أُمَّهْ ، من جنَّ عليه الليل وهو يخالف البيات ، حق له أن لا ينام .

اشترى - رحمه الله - فرسًا بثلاثين ألفًا ، فغزا عليها ، ثم أرسل غلامه يسار يحتش وقام يصلي ، وربط فرسه ، فجاء الغلام فقال : يا ربيع ، أين فرسك ؟ قال : سرقت يا يسار . قال : وأنت تنظر إليها ؟! قال : نعم يا يسار ، إني كنت أُناجي ربي عز وجل ، فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيءٌ ، اللهم إنه سرقني ولم أكن أسرقه ، اللهم إن كان غنيًّا فاهده ، وإن كان فقيرًا فأغنه . ثلاث مراتٍ[1] .

رحم الله ابن خثيم تلميذ ابن مسعود ، الذي قال له ابن مسعود : « يا أبا يزيد ، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين »[2] .

يرحم الله من عظموا قدر الصلاة .

---

(١) الزهد ص٢٣١ ، مختصر قيام الليل ص٢٧ .

(٢) الحلية ٢/١٠٦ .

عن أبي وائل قال : دخلت على الأسود بن هلال فقلت : ليتني وإياك قد مضينا . قال : بئس ما تقول ، أليس أسجد كل يومٍ وليلة أربعًا وثلاثين سجدةً .

وعنه : قلت للأسود بن هلال : وددت أنك مت منذ سنةٍ . فقال : لي صاحب خيرٌ منك،ما أبغض حياة شهر ، أُصلي خمسين ومائة صلاة إلى ضعفها . أو قال : إلى سبعمائة ضعف[1].

مُـرَّة الطَّيِّب :

مرةُ الخير ، مرةُ بن شراحيل ، المدمن للتعبد والمواظب على التهجد .

قال الذهبي في السير (٤/٧٥ ، ٧٦) : « يقال له : مرة الخير ؛ لعبادته وخيره وعلمه . وثقه يحيى بن معين ، وبلغنا عنه أنه سجد لله حتى أكل التراب جبهته .

وعن عطاء بن السائب : رأيت مصلى مرة الهمداني مثل مبرك البعير .

ونقل عطاء وغيره : أن مرة كان يصلي في اليوم والليلة ستمائة .

قال الذهبي : قلت : ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم ، ولهذا لم تكثر روايته ، وهل يراد من العلم إلَّا ثمرته » .

« عن عطاء بن السائب قال : كان مرة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعةٍ ، فلما ثقل وبدن صلى أربعمائة ركعة ، وكنت تنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل .

وقال العلاء بن عبد الكريم الأيامي : كنا نأتي مرة الهمداني ، فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه . قال : فيجلس معنا هنيئةً ثم يقوم ، فإنما هو ركوع وسجود .

وعن أبي الهذيل قال : قلت لمرة الهمداني ، وكان قد كبر : كم بقي

---

(١) الحلية ٤/١٠٤ .

من صلاتك ؟ قال : شطر ، مائتان وخمسون ركعة كل يوم »[١] .

الإمام الحُجَّة أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأودي :

« قال إبراهيم : لما كبر عمرو بن ميمون أُوتد له في الحائط ، وكان إذا سئم من القيام ، أمسك به ، أو يتعلق بحبلٍ »[٢] .

الإمام الحُجَّة ، شيخ الوقت أبو عثمان عبد الرحمن بن مُلّ النَّهْدِي :

قال معاذ بن معاذ : كانوا يرون أن عبادة سليمان التيمي : من أبي عثمان النهدي أخذها .

عن عاصم بن الأحول ، قال : بلغني أن أبا عثمان النهدي كان يصلي ما بين المغرب والعشاء مائة ركعة[٣] .

العلاء بن زياد بن مطر القدوةُ العابد :

قال عنه الذهبي في السير (٤/٢٠٤) : « كان ربانيًا تقيًّا قانتًا لله بكَّاءً من خشية الله » .

« قال هشام بن حسان : كان العلاء يصوم حتى يخضر ، ويصلي حتى يسقط ، فدخل عليه أنس والحسن فقالا : إن الله لم يأمرك بهذا كله »[٤] .

« عن هشام بن زياد أخي العلاء ، أن العلاء كان يُحيي ليلة الجمعة[٥] ، فأتاه من أخذ بناصيته وقال : قم يا ابن زيادٍ فاذكر الله يذكرك ، فقام ،

---

(١) الحلية ٤/١٦٢ .

(٢) السير ٤/١٥٨ - ١٦١ .

(٣) السير ٤/١٧٧ .

(٤) الحلية ٢/٢٤٣ .

(٥) أي يقومها حتى الصباح ، وإن كان يقوم غيرها فليس في هذا تخصيصٌ لقيام ليلة الجمعة المنهي عنه .

فما زالت تلك الشعرات التي أخذها منه قائمة حتى مات »[١].

سعيد بن جبير :

قال القاسم بن أبي أيوب : سمعت سعيدًا يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة : ﴿ **واتَّقُوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله** ﴾[٢]. [البقرة : ٢٨١] .

وعن هلال بن يساف قال : دخل سعيد بن جبير الكعبة ، فقرأ القرآن في ركعةٍ[٣].

العابِدُ العَلَمُ التّابِعِيُّ عُمير بنُ هانىء :

أخرج الترمذي في « أبواب الدعاء » : عن مسلمة بن عمرو قال : كان عُمير بن هانىء يصلي كل يومٍ ألف ركعة ، ويسبح مائة ألف تسبيحة .

قال أبو العالية : كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيامٍ لأسمع منه ، فأتفقد صلاته ، فإن وجدته يحسنها ، أقمت عليه ، وإن أجده يضيعها ، رحلت ولم أسمع منه ، وقلت : هو لما سواها أضيع[٤].

« وقال سفيان بن عيينة : لا تكن مثل عبد السوء ، لا يأتي حتى يدعى ، ايت الصلاة قبل النداء »[٥].

الإمام مُفتي المدينة وعالمها وأحَدُ الفقهاءِ السَّبْعة عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة :

قال مالك : كان عبيد الله يطول الصلاة ، ولا يعجل عنها لأحدٍ .

---

(١) الحلية ٢/٢٤٤ .
(٢) الحلية ٤/٢٧٢ .
(٣) الزهد لأحمد ص٣٧٠ .
(٤) الحلية ٢/٢٢٠ ، والسير ٤/٢٠٩ .
(٥) التبصرة لابن الجوزي ص١٣١ .

قال : فبلغني أن عليّ بن الحسين جاءه وهو يصلي ، فجلس ينتظره ، وطول عليه ، فعوتب عبيد الله في ذلك ، وقيل : يأتيك ابن بنت رسول الله ﷺ فتحبسه هذا الحبس ؟! فقال : اللهم غفرًا ، لا بد لمن طلب هذا الشأن أن يُعَنَّى [١]

زاذان أبو عُمر الكِنْدِيُّ أحَدُ كبار علماء التابِعِين :

« قال عنه زبيد : رأيت زاذان يصلي كأنه جذع »[٢].

زَيْنُ العابِدِين عليُّ بن الحسين الإمامُ ابن الإمام :

قال الزهري : ما رأيتُ قُرَشِيًّا أفضل من علي بن الحسين[٣].

عن أبي نوحٍ الأنصاري قال : وقع حريقٌ في بيتٍ فيه علي بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون : يا ابن رسول الله ، النار . فما رفع رأسه حتى طفيت ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألهتني عنها النار الأُخرى[٤] .

وعن عبد الله بن أبي سليمان قال : كان عليّ بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذيه ولا يخطر بها ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فقيل له ، فقال : تدرون بين يدي من أقوم ، ومن أُناجي[٥].

وعنه ، أنه كان إذا توضأ اصفر[٦].

وعن مالك : أحرم علي بن الحسين فلما أراد أن يلبي قالها ، فأُغمي عليه ، فسقط من ناقته فهشم ، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة

---

(١) السير ٤/٤٧٨ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٠ .
(٣) ابن عساكر ١٢/١٨أ ، والمعرفة والتاريخ ١/٥٤٤ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٣٩١ .
(٥) طبقات ابن سعد ٥/٢١٦ ، والحلية ٣/١٣٣ .
(٦) السير ٤/٣٩٢ .

ألف ركعةٍ إلى أن مات ، وكان يسمى زين العابدين لعبادته[(١)].

رحمك الله يا ابن الحسين ، كان يسمى ذا الثفنات ، وكانت ركبتاه كثفنات البعير .

وعن طاوس : سمعتَ علي بن الحسين وهو ساجد يقول : « عبيدك بفنائك ، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك ، فقيرك بفنائك » . قال : فوالله ما دعوت بها في كربٍ قط إلا كشف عني[(٢)].

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزوميُّ أحَدُ فقهاء المدينة السبعة :

قال ابن سعد : كان يُقال له: راهِب قريش ؛ لكثرة صلاته ، وكان مكفوفًا[(٣)] .

وقال ابن خراش : هو أحد أئمة المسلمين ، هو وإخوته يضرب بهم المثل[(٤)] .

قال الزبير بن بكار : هو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان يسمى الراهب ، وكان من سادات قريش[(٥)].

قال أبو داود : كان إذا سجد يضع يده في طشت ماءٍ ؛ لعلّةٍ كان يجدها[(٦)].

أبو جعفر الباقر السَّيِّدُ الإمام محمدُ بن عليّ بن الحسين :

عن عبد الله بن يحيى قال : كان أبو جعفر يصلي كل يومٍ وليلةٍ خمسين

(١) ابن عساكر ١٢/٢٠أ .
(٢) السير ٤/٣٩٣ .
(٣) الطبقات ٥/٢٠٧ - ٢٠٨ .
(٤) السير ٤/٤١٧ .
(٥) ابن عساكر ٨٦ب .
(٦) السير ٤/٤١٧ .

ركعة بالمكتوبة[١].

رحمك الله يا باقر العلم. قال فيه القرظي:

يا باقر العِلْمِ لأهل التُّقَى ... وخَيْرَ مَنْ لَبَّى على الأَجْبُلِ

وقال فيه مالك بن أعين:

إذا طلب الناسُ عِلْم القُرَا ... نِ كانت قريشٌ عليه عِيالَا

وإن قيل أين ابنُ بنتِ الرسو ... لِ نلتَ بذلك فرعًا طُوالَا

نجومٌ تهلّلُ للمُدْلجينَ ... جبالٌ تُوَرِّث عِلمًا جِبالَا[٢]

عُروة بن الزُّبير ابنُ حواري الرسول ﷺ وأحد فقهاء المدينة السبعة:

« عن هشام، أن أباه وقعت في رجله الآكلة، فقيل: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم. فقالوا: نسقيك شرابا يزول فيه عقلك؟ فقال: امض لشأنك، ما كنت أظن أن خلقًا يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف به. فوضع المنشار على ركبته اليسرى، فما سمعنا له حسًّا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن ابتليت فقد عافيت. وما ترك جزأه بالقرآن تلك الليلة »[٣].

أي صلاته بالقرآن، وإن جزأه لسبع القرآن.

الإمامُ القُدوةُ الرَّبّانيّ أبو مُحَيْرِيز عبدُ الله بن محيريز:

قال رجاء بن حيوة، لما مات ابن محيريز: والله لقد كنت أعد بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض[٤].

---

(١) الحلية ١٨٢/٣.

(٢) السير ٤٠٤/٤، ومعجم المرزباني ٢٦٨.

(٣) السير ٤٣٠/٤.

(٤) الحلية ١٤٢/٥.

« وقال الأوزاعي : من كان مقتديًا ، فليقتد بمثل ابن محيريز ، إن الله لم يكن ليضل أُمَّةً فيها ابن محيريز .

وقال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإنا نفخر عليهم بعابدنا ابن محيريز » .

« قال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز : كان جدي يختم في كلِّ جمعةٍ ، وربما فرشنا له فلم ينم عليه »[1] .

« وقال عبد الله بن عوف القارىء : لقد رأيتنا برودس وما في الجيش أكثر صلاةً في العلانية من ابن محيريز ، ثم قد أقصر عن ذلك حين عُرف وشُهر »[2] .

الإمامُ القُدوةُ أبو عمرو الأسودُ بن يزيد النَّخَعِيُّ :

هو أخو عبد الرحمن بن يزيد ، ووالد عبد الرحمن بن الأسود ، وابن أخي علقمة بن قيس ، وخال إبراهيم النَّخَعي .

فهؤلاء أهل بيت من رؤوس العلم والعمل .

وقد كان الأسود نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن ، يضرب بعبادتهما المثل .

قال الذهبي[3] واليافعي[4]: ورد أنه كان يصلي في اليوم والليلة سبعمائة ركعة .

أبو عبد الله مسلمُ بن يَسَار ، المشاهدُ المبصارُ ، المجاهدُ المحضار :

« قال العلاء بن زياد : لو كنت متمنِّيًا لتمنيت فقه الحسن ، وورع ابن

---

(١) السير ٤/٤٩٤ - ٤٩٦ .

(٢) الحلية ٥/١٤١ .

(٣) العبر ١/٨٦ .

(٤) مرآة الجنان لليافعي ١/١٥٦ .

سيرين ، وصواب مطرفٍ ، وصلاة مسلم بن يسار »[١].

« قال جعفر بن حيان : ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في صلاته ، فقال : وما يدريكم أين قلبي .

وعن حبيب بن الشهيد ، أن مسلم بن يسار كان قائمًا يصلي ، فوقع حريق إلى جنبه ، فما شعر به حتى طفئت النار .

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه ، أنه كان يصلي ذات يومٍ ، فدخل رجلٌ من أهل الشام ففزعوا ، واجتمع له أهل الدار ، فلما انصرفوا قالت له أم عبد الله : دخل هذا الشامي ففزع أهل الدار ، فلم تصرف إليهم - أو كما قالت - قال : ما شعرت .

قال معتمر : وبلغني أن مسلمًا كان يقول لأهله : إذا كانت لكم حاجةٌ فتكلموا وأنا أُصلّي .

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار ، عن أبيه قال : ما رأيته يصلي قطُّ إلّا ظننت أنه مريض .

وعن ابن شوذب قال : كان مسلم بن يسار يقول لأهله ، إذا دخل في صلاته في بيته : تحدثوا فلست أسمع حديثكم .

وعن ميمون بن حيان قال : ما رأيت مسلم بن يسار متلفتًا في صلاته قطُّ خفيفةً ولا طويلةً ، ولقد انهدمت ناحيةٌ من المسجد ، ففزع أهل السوق لهدمه ، وإنه لفي المسجد في الصلاة ، فما التفت .

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار : كان مسلم بن يسار إذا دخل المنزل ، سكت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام ، وإذا قام يصلي ، تكلموا وضحكوا .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٦/٢٤٥ .

وعن غيلان بن جرير قال : كان مسلم بن يسار إذا رُئِيَ وهو يصلي كأنه ثوبٌ مُلقًى .

وعن ابن عونٍ قال : كان مسلم بن يسار إذا كان في غير صلاةٍ ، كأنه في صلاة .

عن معاوية بن قرة قال : دخلت على مسلمٍ فقال : دخلت عليَّ وأنا أدفن بعض جسدي .

قال معاوية : وكان يطيل السجود ، أراه قال : فوقع الدم في ثنيتيه ، فسقطتا فدفنهما .

وقال ابن عون : رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتدٌ لا يميل على قدمٍ مرة ولا على قدمٍ مرة »[١].

إذا اشتغلَ اللَّاهُون عنك بشُغْلهم　　جعلتُ اشتغالي فيك يا مُنتهى شغلي

فمن لي بأن ألقاك في ساعة الرِّضا　　ومَنْ لي بأن ألقاك والكلُّ لي من لي

هذا والله الخشوع .. وهذه صلاة مسلم بن يسار العابد الذي « لَمَّا مات قال الحسن البصري : وامُعَلِّماه »[٢].

« عن عبد الله بن مسلم بن يسار قال : رأيت مسلمًا وهو ساجدٌ ، وهو يقول في سجوده : متى ألقاك وأنت عني راضٍ . ويذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راضٍ »[٣].

أبو عبد الله وهبُ بن مُنَبِّه بن كامل :

الإمام العلامة الأخباري القصصي .

قال المثنى بن مصباح : لبث وهب بن منبه عشرين سنة لم يجعل بين

---

(١) الحلية ٢/٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥١٣ .

(٣) الحلية ٢/٢٩٢ .

العشاء والصبح وضوءًا[(١)].

« وقال مسلم الزنجي : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش ، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءًا .

وعن عبد الصمد بن معقل قال : صحبت عمي وهبًا أشهُرًا يصلي الغداة بوضوء العشاء »[(٢)].

« عن كثير أنه سار مع وهبٍ ، فباتوا بصعدة عند رجلٍ ، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحًا ، فاطلع صاحب المنزل ، فنظر إليه صافًّا قدميه في ضياءٍ كأنه بياض الشمس ، فقال الرجل : رأيتك الليلة في هيئةٍ . وأخبره فقال : اكتم ما رأيت »[(٣)] .

وروى عبد الرزاق بن همام عن أبيه ، قال : رأيت وهبًا إذا قام في الوتر قال : « لك الحمد السرمد ، حمدًا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك أن تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا حق » .

أخي ، الصلاة أول فريضة بعد الإخلاص بالعبادة لله،فأين حظك منها ، وانظر إلى :

طَلْق بن حَبِيب :

الوفي النجيب ، المتعبد اللبيب .

« عن كلثوم بن جبر قال : كان المتمني بالبصرة يقول : عبادة طلق ابن حبيب ، وحلم مسلم بن يسار .

وعن حماد بن زيد ، عن أيوب قال : ما رأيت أعبد من طلق بن حبيب .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥٤٣/٥ ، وابن عساكر ٤٧٧/١٧أ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٤٧/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥٤٦/٤ - ٥٤٧ .

قال ابن الأعرابي : كان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وحلم مسلم بن يسار ، وعبادة طلق .

قال سفيان بن عيينة : سمعت عبد الكريم يقول : كان طلق لا يركع إذا افتتح القراءة حتى يبلغ العنكبوت ، وكان يقول : إني أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي .

قال طلق : يموت المسلم بين حسنتين ، حسنة قد قضاها ، وحسنة ينتظرها - يعني الصلاة - »[1] .

أخي : استمع إلى قول المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٣٣٨) : « إن الله تبارك وتعالى قد خص أهل جواره بخاصة اللطف في جنته من الهدايا ، ثوابًا لهم على صلاتهم من بين سائر الأعمال ، فجعل هداياه إلى أوليائه في جنته ، بمقادير صلواتهم في الأوقات التي كانوا يصلونها ، من بين جميع الطاعات وأوقاتها ، فكفى بالصلاة فضلًا ، وحسن عاقبةٍ في الآخرة .

قال بعض أهل العلم : إن كان متواضعًا في الدنيا في صلاته ، خاشعًا ، يأخذ بيده اليسرى باليمنى ، حشر على إخباته في صلاته ، ثوابًا لخشوعه في صلاته ، علامة له من بين الخلائق ، أنه هكذا كان لله في الدنيا ، متذلِّلا إذا قام بين يديه يناجيه » .

أخي : وفر نصيبك من هدايا في الجنة ، وجاهد نفسك في صلاتك حتى تحشر على صورةٍ كريمة .

ليكن لسان حالك : « ما دخل وقت صلاة قط ، حتى أشتاق إليها » .

كن مثل :

عبد الرحمن بن الأسودِ بنِ يزيدَ أبو حفصٍ النَّخَعِيّ :

الفقيه ، الإمام ابن الإمام . كان من المتهجدين العباد .

---

(١) حلية الأولياء ٣/٦٣ - ٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٦٠١ - ٦٠٣ .

« قال الشعبي : أهل بيتٍ خلقوا للجنة : علقمة والأسود وعبد الرحمن .

عن ابن إسحاق قال : قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجًّا ، فاعتلت رجله ، فصلى على قدمٍ حتى أصبح .

وعن الحكم ، أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتُضِر ، بكى ، فقيل له ؟ فقال : أسفًا على الصلاة والصوم ، ولم يزل يتلو حتى مات »[(١)] .

وما أحلى العبادة من أبناء الملوك والخلفاء ، فهذا :

عبدُ الرحمن بنُ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبي سفيان :

وكان من الأتقياء العباد .

كان عمر بن عبد العزيز يرق له ؛ لما هو عليه من النسك .

قال الذهبي في السير (٥/٥٠) : « قيل : اجتهد عبد الرحمن بن يزيد في العبادة حتى صار كالشن البالي .

قال المفضل الغلابي : عباد الرحمن من قريشٍ كلهم عابد ، عبد الرحمن ابن زياد بن أبي سفيان ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن ابن أبان بن عثمان ، وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية »[(٢)] .

أخي : « لو أحببت المخدوم ، لحضر قلبك في الخدمة . ويحك ، هذا الحديد يعشق المغناطيس ، فكيفما التفت التفت . إن كنت ما رأيت هذا الحجر ، فانظر إلى الحرابي تواجه الشمس ، فكيفما مالت قابلتها .

وإنِّي إذا اصْطَكَّتْ رِقابُ مَطِيِّكُمْ ... وثَوَّرَ حادٍ بالرِّفاقِ عَجُولُ
أُخالِف بين الرَّاحَتَيْنِ على الحَشَا ... وأنْظُرُ أنَّى مِلْتُمُ فَأَمِيلُ

يا واقفًا في صلاته بجسده ، والقلب غايب ، ما يصلح ما بذلته من

(١) سير أعلام النبلاء ٥/١١ - ١٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٥٠ .

التعبد مهرًا للجنة ، فكيف ثمنًا للجنة ؟! .

أخي : الصلاة مكيال ، من وفى وفِّي له ، ومن طفف طفف عليه .

فكن من قوم ٍ جدوا في انطلاقهم إلى خلاقهم ، وأذابهم كرب اشتياقهم ، فما الذي حبسك عن لحاقهم ، **قد لزموا محاريبهم** ، وأحاط بهم القلق ودار ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ [النور : ٣٧] . فهذا :

بلال بن سعد :

المتشمِّر في الوعظ ، المتفكر في الوعد .

قال عنه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية : « كان عقولًا عن الله - تعالى - سميعًا ، حمولة في الخدمة رفيعًا ، بليغًا في الموعظة ضليعًا » .

قال عنه الأوزاعي : كان بلال بن سعد من العبادة على شيءٍ لم نسمع أحدًا من أمة محمد ﷺ[1] .

قال الذهبي في السير (٥/٩٠) : « قال الأوزاعي : كان من العبادة على شيءٍ لم نسمع أحدًا قوي عليه ، كان له في كل يوم ٍ وليلة ألف ركعة » .

فرحمة الله على الإمام الرباني الذي قال عنه ابن المبارك : « كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة »[2] .

أخي : أما سمعت قول رسولك ﷺ : « الصلاة خير موضوع ٍ ، فمن أراد أن يستكثر فليستكثر » .. هذه التجارة مع الله ... وهذه أحلى تجارات الآخرة ، فرحم الله من سمع هذا فاستكثر ، وصار على درب الرجال المستكثرين ، ومنهم :

---

(١) الحلية ٥/٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) الحلية ٥/٢٢٢ .

الإمامُ سليمانُ بنُ مِهْران الأعمش :

الإمام المقرىء ، الراوي المفتي ، كثير العمل ، قليل الأمل .

« قال وكيع : كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى ، واختلفت إليه قريبًا من ستين ، فما رأيته يقضي ركعةً .

كان يحيى بن القطان إذا ذكر الأعمش قال : كان من النساك ، وكان محافظًا على الصلاة في الجماعة ، وعلى الصف الأول .

قال يحيى : وهو علّامة الإسلام . وكان يحيى يلتمس الحائط حتى يقوم في الصف الأول »(١) .

الإمامُ القُدْوَةُ الفقيه أبو أسماء ، إبراهيمُ بن يزيدَ التَّيْمِيّ :

عابد الكوفة .

قال الأعمش : كان إبراهيم التيمي إذا سجد ، كأنه جذم حائطٍ ينزل على ظهره العصافير ..

قال إبراهيم التيمي : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى ، فاغسل يدك منه(٢) .

مُفتي الحَرَم وشيخُ الإسلام أبو محمد عطاءُ بن أبي رَباح :

قال ابن جريج : كان المسجد فراش عطاءٍ عشرين سنةً ، وكان من أحسن الناس صلاةً(٣) .

الإمامُ الرَّبّانِيّ أبو الحارث عامرُ بنُ عبدِ الله بنِ الزّبَيْر :

« قال مصعب : سمع عامرٌ المؤذن ، وهو يجود بنفسه ، فقال : خذوا

---

(١) حلية الأولياء ٥/٤٩ - ٥٠ .

(٢) السير ٥/٨٤ .

(٣) السير ٥/٦٠ - ٦٢ .

بيدي . فقيل : إنك عليل . قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ! فأخذوا بيده ، فدخل مع الإمام في المغرب ، فركع ركعةً ثم مات »[١].

أبو محمد ثابتٌ البُنانيّ :

المتعبد الناحل ، والمتهجد الذابل ، الحافظ للحرمة ، المداوم على الخدمة ، الإمام القدوة .

« قال أنس بن مالك : إن للخير مفاتيح ، وإن ثابتًا مفتاحٌ من مفاتيح الخير .

قال ثابت رحمه الله : لا يسمى عابدٌ أبدًا عابدًا - وإن كان فيه كل خصلة خيرٍ - حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم والصلاة ؛ لأنهما من لحمه ودمه »[٢] .

« وعن حماد بن سلمة قال : كان ثابت يقول : اللهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره ، فأعطني الصلاة في قبري . فيقال : إن هذه الدعوة استجيبت له ، وإنه رئي بعد موته يصلي في قبره »[٣].

قال يوسف بن عطية : سمعت ثابتًا يقول لحميدٍ الطويل : هل بلغك يا أبا عبيدٍ ، أن أحدًا يصلي في قبره إلّا الأنبياء ؟ قال : لا . قال ثابت : اللهم إن أذنت لأحدٍ أن يصلي في قبره فائْذَنْ لثابتٍ أن يصلي في قبره .

قال : وكان ثابت يصلي قائمًا حتى يَعْيَا ، فإذا أعْيَا جلس ، فيصلي وهو جالس ، ويحتبي في قعوده ويقرأ ، فإذا أراد أن يسجد وهو جالس ، فتح حبوته.

قال ثابت : الصلاة خدمة الله في الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئًا

---

(١) السير ٥/٢٢٠ .

(٢) الحلية ٢/٣١٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٢ .

أفضل من الصلاة لما قال : ﴿ **فنادتْه الملائكةُ وهو قائمٌ يُصلّي في المحراب** ﴾ [آل عمران : ٣٩].

وقال المبارك بن فضالة : دخلت على ثابت البناني في مرضه ، وهو في علوّ له ، وكان لا يزال يذكر أصحابه ، فلما دخلنا عليه ، قال : يا إخوتاه ، لم أقدر أن أُصلّي البارحة كما كنت أصلي ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي ، فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم . ثم قال : اللهم إذ حبستني عن ثلاثٍ ، فلا تدعني في الدنيا ساعة ؛ إذ حبستني أن أصلي كما أريد ، وأصوم كما أريد ، وأذكرك كما أريد ، فلا تدعني في الدنيا ساعةً . فمات من وقته ، رحمه الله .

قال جعفر : حدثنا ثابت البناني قال : كان رجلٌ من العباد يقول : إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم ، فلا أنام الله عيني !

قال جعفر : كنا نرى ثابتًا إنما يعني نفسه .

قال ثابت : والله للعبادة أشد من نقل الكارات .

وقال رحمه الله : كان يقال : فقه كوفي ، وعبادة بصري .

وعن ابن شوذب قال : ربما مشيت مع ثابتٍ البناني فلا يمر بمسجدٍ إلّا دخل فصلى فيه .

وقال ابن شوذب : ربما مشينا مع ثابتٍ ، فإذا عدنا مريضًا ، بدأ بالمسجد الذي في بيت المريض ، فركع فيه ، ثم يأتي المريض .

وقال حميد : كنا نأتي أنس بن مالك ومعنا ثابتٌ ، فكلما مر بمسجدٍ صلى فيه ، فكنا نأتي أنسًا فيقول : أين ثابت ؟ أين ثابت ؟ إن ثابتًا دويبة أحبها .

وعن حرمي قال : استعان رجلٌ بثابت البناني على القاضي في حاجة ، فجعل لا يمر بمسجد إلّا نزل فصلى ، حتى انتهى إلى القاضي وقد ختمت

القماطر ، فكلمه في حاجة الرجل فقضاها ، فأقبل ثابتٌ على الرجل فقال : لعله شق عليك ما رأيت . قال : نعم . قال : ما صليت صلاة إلَّا طلبت إلى الله تعالى في حاجتك .

وقال جعفر : كان ثابت يخرج إلينا وقد جلسنا في القبلة ، فيقول : يا معاشر الشباب ، حلتم بيني وبين ربي أن أسجد له . وكان قد حببت إليه الصلاة .

قال أنسٌ لثابت : ما أشبه عينيك بعيني رسول الله ﷺ . فما زال يبكي حتى عمشت عيناه .

رحمة الله على تلميذ أنس بن مالك ، ثابت البناني الذي قال : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمت بها عشرين سنة .

رحمة الله على تلميذ أنس الذي تأدب معه أستاذه أنسٌ كل الأدب .

قالت جميلة مولاة أنسٍ : كان ثابت إذا جاء ، قال أنسٌ : يا جميلة ، ناوليني طيبًا أمس به يدي ، فإن ابن أُمّ ثابتٍ لا يرضى حتى يقبل يدي ، ويقول : قد مست يد رسول الله ﷺ[(١)] .

رحمة الله على جبل العبادة ثابت البناني ، الذي تعلمها من أُستاذه أنس .

« قال ثابت : صحبت أنس بن مالك أربعين سنة ، ما رأيت أعبد منه »[(٢)] .

ربيعةُ بنُ يزيدَ أبو شعيبٍ الإيادِيُّ الدّمشقّي القصيرُ :

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٢٣٩ - ٢٤٠) : « الإمام القدوة .

---

(١) حلية الأولياء بتصرف ٢/٣١٨ - ٣٢٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٢ .

قال فرج بن فضالة : كان ربيعة يُفَضَّلُ على مكحول - أعني في العبادة -.

وقال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن عندنا أحدٌ أحسن سمتًا في العبادة منه ، ومن مكحول .

قال أبو مسهر : حدثنا عبد الرحمن بن عامر : سمعت ربيعة بن يزيد يقول : ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة ، إلَّا وأنا في المسجد ، إلَّا أن أكون مريضًا أو مسافرًا » .

الإمام القانِتُ أبو الخلائِف أبو محمد الهاشِمِيُّ السَّجَّاد علي بن عبد الله بن العباس :

« ذكر عنه الأوزاعي وغيره ، أنه كان يسجد كلّ يومٍ ألف سجدة .

قال علي بن أبي حملة : دخلت على عليِّ بن عبد الله وكان جسيمًا آدم ، ورأيت له مسجدًا كبيرًا في وجهه .

قال ابن المبارك : كان له خمسمائة شجرة ، يصلي عند كل شجرة ركعتين ، وذلك كل يوم »[1] .

الإمام الكبير مُقْرِىء العصر أبو بكرٍ عاصمُ بنُ أبي النَّجُودِ :

« قال زياد بن أيوب : حدثنا أبو بكر قال : كان عاصم إذا صلَّى ينتصب كأنه عود ، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر ، وكان عابدًا خيِّرًا ، يصلي أبدًا ، ربما أتى حاجةً ، فإذا رأى مسجدًا قال : مِلْ بنا فإن حاجتنا لا تفوت . ثم يدخل فيصلي »[2] .

صفوان بن سليم الزُّهْرِي :

المجتهد الوفي ، العابد السخي .

---

(١) السير ٥/٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) السير ٥/٢٥٩ .

عن عبد العزيز بن أبي حازم قال : عادلني صفوان بن سليم إلى مكة ، فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع .

وقال سليمان بن سالم : كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي في البيت ، وإذا كان في الشتاء صلى في السطح ؛ لئلّا ينام .

وقال مالك بن أنس : كان صفوان يصلي في الشتاء في السطح ، وفي الصيف في بطن البيت ، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ، ثم يقول : هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم . وإنه لترِم رجلاه حتى تعود مثل السقط من قيام الليل ، ويظهر فيها عروق خضر . وقال مالك : كان صفوان بن سليم يصلي في قميصٍ لئلَّا ينام .

قال أبو ضمرة أنس بن عياضٍ : رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له : غدًا القيامة ، ما كان عنده مزيدٌ على ما هو عليه من العبادة[١] .

قال أبو غسان النهدي : سمعت سفيان بن عيينة - وأعانه على الحديث أخوه محمد -: حلف صفوان ألَّا يضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله ، فمكث على ذلك أكثر من ثلاثين عامًا ، فلمَّا حضرته الوفاة ، واشتد به النْزع والعلز[٢] وهو جالس فقالت ابنته : يا أبه ، لو وضعت جنبك . فقال : يا بنية ، إذن ما وفيت لله بالنذر والحلف . فمات وإنه لجالسٌ .

قال سفيان : فأخبرني الحفار الذي يحفر قبور أهل المدينة ، قال : حفرت قبر رجلٍ ، فإذا أنا قد وقعت على قبرٍ فوافيت جمجمةً ، فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة ، فقلت لإنسان : قبر مَنْ هذا ؟ فقال : أو ما تدري ، هذا قبر صفوان بن سليم .

---

(١) الحلية ٣/١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) القلق والكرب وشبه رعدة عند الموت .

وعن محمد بن منصور قال : قال صفوان بن سليم : أعطي الله عهدًا أن لا أضع جنبي على فراشٍ حتى ألحق بربي . فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه ، فلما نزل به الموت ، قيل له : رحمك الله ، هلّا تضطجع ؟ قال : ما وفيت لله بالعهد إذن . فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه . قال : ويقول أهل المدينة : إنه بقيت جبهته من كثرة السجود .

قال ابن أبي حازم : دخلت مع أبي على صفوان وهو في مصلاه ، فما زال به أبي حتى ردَّه إلى فراشه ، فأخبرته مولاته قالت : ساعة خرجتم مات[١] .

شيخُ الكوفة الإمام أبو إسحاق السَّبِيعيُّ عمرو بن عبد الله الهمداني :

« قال أبو الأحوص : قال لنا أبو إسحاق : يا معشر الشباب اغتنموا - يعني قوتكم وشبابكم - قل ما مرت بي ليلةٌ ، إلَّا وأقرأ فيها ألف آيةٍ ، وإني لأقرأ البقرة في ركعة ، وإني لأصوم الأشهر الحرم ، وثلاثة أيام من كلِّ شهرٍ ، والاثنين والخميس .

قال أبو بكر : قال أبو إسحاق : ذهبت الصلاة مني وضعفت ، وإني لأُصلي فما أقرأ وأنا قائمٌ إلَّا بالبقرة وآل عمران »[٢] .

رحمك الله أبا إسحاق : ما تقرأ في ركعةٍ إلَّا البقرة وآل عمران ، فأين شبيهك في هذا الزمان .

ذَهَبَ الرِّجالُ الصالحون وَأُخِّرَتْ   نَتَنُ الرِّجال لذا الزمان المُنْتِنِ

الحافِظُ القُدْوَةُ أبو غياث منصورُ بنُ المُعْتَمِر :

المتفكر المعتبر ، حليف الصيام والقيام ، خفيف التطعم والمنام .

---

(١) السير ٥/٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) السير ٥/٣٩٧ .

قال عنه الذهبي في السير ٥/٤٠٢ : « كان من أوعية العلم ، صاحب إتقانٍ وتألُّهٍ وخيرٍ » .

« قال عبد الله بن الأجلح : رأيت منصور بن المعتمر ، وكان من أحسن الناس قيامًا في الصلاة » .

« قال أبو بكر بن عياشٍ : رأيت منصور بن المعتمر إذا قام في الصلاة ، وقد عقد لحيته في صدره .

قال الثوري : لو رأيت منصورًا يصلي ، لقلت : يموت الساعة .

قال أبو بكر بن عياش : لو رأيت منصور بن المعتمر وعاصمًا والربيع ابن أبي راشد في الصلاة ، وقد وضعوا لحاهم على صدورهم ، عرفت أنهم من أبرار الصلاة .

قال العلاء بن سالم العبدي : كان منصور يصلي في سطحه ، فلما مات قال غلامٌ لأُمِّه : يا أُمَّهْ ، الجذع الذي كان في سطح آل فلانٍ ، ليس أراه ؟ قالت : يا بني ، ليس ذاك جذعًا ، ذاك منصور قد مات .

عن زائدة قال : إن منصور بن المعتمر صام ستين سنة ، يقوم ليلها ويصوم نهارها ، وكان يبكي فتقول له أُمُّه : يا بني ، قتلت قتيلًا ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي . فإذا كان الصبح ، كحل عينيه ودهن رأسه وفرق شفتيه ، وخرج للناس .

قال جرير بن عبد الحميد : كانت أُمُّ منصور تقول له : إن لعينيك عليك حقًّا ، ولجسمك عليك حقًّا . فكان يقول لها : دعي عنك منصورًا ، فإن بين النفختين نومًا طويلًا .

قال أبو بكر بن عيّاش : رحم الله منصورًا ، كان صوَّامًا قوامًا »[1] .

---

(١) الحلية ٥/٤٠ - ٤١ .

الإمامُ الرَّبّانِيُّ أبو المُغِيرةِ منصورُ بنُ زَاذان :

زين القرَّاء والفتيان ، الميسر له تلاوة القرآن ، شيخ واسطٍ علمًا وعملًا.

« قال ابن سعد : كان ثقةً حجَّةً ، سريع القراءة ، يريد أن يترسل فلا يستطيع ، وكان يختم في الضحى .

قال يزيد بن هارون : كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى ، وكان يختم القرآن من الأولى إلى العصر ، ويختم في اليوم مرتين ، ويصلي الليل كله .

قال هشيم : كان منصور لو قيل له : إن ملك الموت على الباب ، ما كان عنده زيادةٌ في العمل ، وكان يصلي من طلوع الشمس إلى أن يصلي العصر ، ثم يسبح إلى المغرب »[(١)] .

عن أبي حمزة قال : رأيت جنازة منصور بن زاذان ، فرأيت الرجال على حدةٍ ، والنساء على حدةٍ ، واليهود على حدةٍ ، والنصارى على حدة[(٢)].

الزَّاهدُ القُدوةُ : أبو عبد الله كُرْزُ بن وبرة الحارِثيُّ :

قال عنه أبو نعيم الحافظ في الحلية (٥/٧٩) : « له الصيت البليغ ، والمكان الرفيع في النسك والتعبد .

عن فضيل بن غزوان قال : لم يرفع كرز بصره إلى السماء أربعين سنة ، وكان له عود عند المحراب يعتمد عليه إذا نعس »[(٣)] .

وقال فضيل : كان كرز يصلي حتى ترم قدماه ، فيحفر الحفيرة - يعني تحت رجليه -.

وقيل : كان كرز لا ينزل منزلًا إلَّا ابْتَنَى فيه مسجدًا فيصلي فيه .

---

(١) السير ٥/٤٤١ - ٤٤٢ .
(٢) الحلية ٣/٥٧ .
(٣) السير ٦/٨٥ .

« قال ابن عيينة : سمعت ابن شبرمة يقول : قلت لابن هبيرة :

لو شئتَ كنتَ كَكُرزٍ في تعبُّدِهِ أو كابْنِ طارِقٍ حَوْلَ البَيْتِ في الحَرَمِ

قد حال دُونَ لذيذِ العيش خَوْفهما وسَارَعا في طلابِ الفَوْزِ والكَرَمِ

فقال لي ابن هبيرة : من كرز ، ومَنِ ابن طارقٍ ؟ قال : قلت : أما كرزٌ فكان إذا كان في سفرٍ واتخذ الناس منزلًا ، اتخذ هو منزلًا للصلاة »[1].

« قال خلف بن تميم : سمعت أبي يذكر ، قال : قدم علينا كرز بن وبرة الحارثي من جرجان ، فانجفل إليه قُرَّاءُ الكوفة ، فكنت فيمن أتاه ، وما سمعت منه إلَّا كلمتين ؛ قال : صلوا على نبيكم ﷺ ، فإن صلاتكم تعرض عليه . قال : وقال : اللهم اختم لنا بخير . وما رأيت في هذه الأمة أعبد من كرز ، كان لا يفتر يصلي في المحمل ، فإذا نزل من المحمل ، افتتح الصلاة .

وعن ابن شبرمة : صحبت كرزًا في سفرٍ ، وكان إذا مر ببقعةٍ نظيفة ، نزل فصلى .

قال أبو سليمان المكتب : صحبت كرزًا إلى مكة ، فكان إذا نزل أخرج ثيابه ، فألقاها في الرحل ، ثم تنحى للصلاة ، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل ، فاحتبس يومًا عن الوقت ، فانبث أصحابه في طلبه ، فكنت فيمن طلبه . قال : فأصبته في وهدةٍ يصلي في ساعةٍ حارةٍ ، وإذا سحابة تظله ، فلما رآني أقبل نحوي فقال : يا أبا سليمان ، لي إليك حاجة . قلت : وما حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قال : أُحِبّ أن تكتم ما رأيت . قال : قلت : ذلك لك يا أبا عبد الله . فقال : أوثق لي . فحلفت أن لا أُخبر به أحدًا حتى يموت .

(١) الحلية ٨٢/٥ .

قال أبو داود الحفري : دخلت على كرز بن وبرة بيته ، فإذا هو يبكي ، فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : إن بابي مغلق ، وإن ستري لمسبل ، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة ، وماَ هو إلَّا من ذنبٍ أحدثته »[١] .

« عن فضيل بن غزوان قال : دخلت على كرزٍ بيته ، فإذا عند مُصلّاه حفيرةٌ ، قد ملأها تبنًا وبسط عليها كساء من طول القيام .

عن أبي بشر قال : كان كرز بن وبرة من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم إلَّا بقدر ما يوجد على العصفور ، وكان يطوي أيامًا كثيرة ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينًا ولا شمالًا ، وكان من المحبين المخبتين لله ، قد وله من ذلك ؛ فربما كلم فيجيب بعد مدةٍ ، من شدة تعلق قلبه بالله واشتياقه إليه .

قال الذهبي : هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوفٍ وخشوعٍ وتعبُّدٍ وقُنُوعٍ »[٢] .

الإمامُ الرَّبّانِيُّ القُدوةُ أبو عبد الله محمدُ بنُ واسعٍ :

العامل الخاشع والخامل الخاضع . كان لله عاملا ، وفي نفسه خامِلا . كان الحسن يسميه « زين القُرَّاء » .

« عن موسى بن يسار قال : صحبت محمد بن واسع إلى مكة ، فكان يصلي الليل أجمعه ، يصلي في المحمل جالسًا ويومئُ »[٣] .

« رَحِمَه اللَّهُ ، كان عالمًا واعيًا ، لا ناقِلًا راوِيًا ، وَعَى فارْعَوَى ، ونَوَى فاسْتَوَى ، قليلُ الكلام والرِّواية ، طويل الصِّيام والسّعاية »[٤] .

---

(١) الحلية ٧٩/٥ - ٨١ .
(٢) سير ٨٤/٦ - ٨٦ .
(٣) السير ١٢١/٦ .
(٤) الحلية ٣٥٤/٢ .

المتعبِّدُ المتهجِّدُ ، المتثبِّتُ المتشدِّدُ ، شيخُ الإسلام الرَّبّانِيِّ أبو المُعتَمِر سليمانُ ابنُ طرخانَ التَّيمِيُّ :

« روى مثنى بن معاذ عن أبيه قال : ما كنت أُشبه عبادة سليمان التيمي إلَّا بعبادة الشاب أول ما يدخل في تلك الشدة والحدة »[(١)].

« قال حماد بن سلمة : ما أتينا سليمان التيمي في ساعةٍ يطاع الله عز وجل فيها ، إلَّا وجدناه مطيعًا ، إن كان في ساعة صلاةٍ ، وجدناه مصلِّيًا ، وإن لم تكن ساعة صلاة ، وجدناه : إما متوضِّئًا ، أو عائدًا مريضًا ، أو مشيِّعًا لجنازةٍ ، أو قاعدًا في المسجد . قال : فكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله عز وجل .

وقال معتمر بن سليمان التيمي لمحمد بن عبد الأعلى : لولا أنك من أهلي ما حدثتك عن أبي بهذا ، مكث أبي أربعين سنة : يصوم يومًا ويُفطر يومًا ويصلي الصبح بوضوء العشاء ، وربما أحدث الوضوء من غير نومٍ .

وقال يحيى بن المغيرة : زعم جريرٌ أن سليمان التيمي لم تمر ساعة قطُّ إلَّا تصدق بشيءٍ ، فإن لم يكن شيءٌ صلى ركعتين »[(٢)].

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري : كان التيمي عامة دهره يصلي العشاء والصبح بوضوءٍ واحد ، وليس وقت صلاةٍ إلَّا وهو يصلي ، وكان يسبح بعد العصر إلى المغرب ، ويصوم الدهر ، وانصرف الناس يوم عيدٍ من الجبان فأصابتهم السماء ، فدخلوا مسجدًا فتعاطوا فيه ، فإذا رجلٌ متقنعٌ قائمٌ يصلي ، فنظروا فإذا سليمان التيمي .

وقال يحيى بن سعيد القطان : خرج سليمان التيمي إلى مكة ، فكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة ، وكان يأخذ بقول الحسن : إنه إذا غلب النوم على قلبه توضّأ . وكان يحيى يتعجب من صبر التيمي .

---

(١) السير ٦/١٩٥ - ٢٠٢ .

(٢) الحلية ٣/٢٨ .

قال سليمان التيمي لأهله : هلموا حتى نجزىء الليل ، فإن شئتم كفيتكم أوله ، وإن شئتم كفيتكم آخره .

وقال معمرٌ مؤذن التيمي : صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة ، وسمعته يقرأ : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾ [الملك : ١] قال : فلمَّا أتى على هذه الآية : ﴿ **فلمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وجوهُ الذين كفروا** ﴾ [الملك: ٢٧] جعل يرددها حتى خف أهل المسجد فانصرفوا . قال : فخرجت وتركته . قال : وعدوت لأذان الفجر ، فنظرت فإذا هو في مقامه . قال : فسمعت ، فإذا هو فيها لم يجزها وهو يقول : ﴿ **فلمّا رأوه زُلفةً سِيئت وجوهُ الذين كفروا** ﴾ .

وقال حماد بن سلمة : كان سليمان التيمي طوى فراشه أربعين سنة ، ولم يضع جنبه بالأرض عشرين سنة .

قال معاذ بن معاذ : كنت أرى سليمان التيمي كأنه غلامٌ حدثٌ قد أخذ في العبادة ، وكانوا يرون أنه قد أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي[1] .

قال ابن سعد : « كان سليمان التيمي من العباد المجتهدين كثير الحديث ، ثقة ، يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة ، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا »[2] .

الوَرِعُ البَكَّاءُ ، كَهْمَسُ بنُ الحسن أبو عبد الله الدَّعَّاءُ :

« قال الهيثم بن معاوية عن شيخٍ من أصحابه ، قال : كان كهمس

---

(١) الحلية ٣/٢٧ - ٣٠ .
(٢) السير ٦/١٩٥ - ٢٠٢ .

يصلي ألف ركعةٍ في اليوم والليلة ، فإذا مل قال لنفسه : قومي يا مأوى كل سوءٍ ، فوالله ما رضيتك لله ساعةً قطُّ .

كان رحمه الله يقول في جوف الليل : أراك معذبي وأنت قرة عيني ، يا حبيب قلباه »[١].

الإمامُ المَرْضِيُّ ، والوَرِعُ السَّرِيُّ ، أبو عبد الله سفيانُ الثَّوْرِيُّ :

قال عنه شعبة : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث .

قال عنه ابن عيينة : أئمة الناس ثلاثةٌ بعد أصحاب رسول الله ﷺ ؛ ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، وسفيان الثوري في زمانه .

وقال بشر بن الحارث : سفيان الثوري عندي إمام الناس .

قال رحمه الله :

إذا أنت لم تَرْحَل بزادٍ من التُّقَى ولاقيتَ بعدَ الموت مَنْ قد تَزَوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمِثله وأنَّك لم تَرْصُدْ كما كان أرْصَدَا

« قال عبد الرزاق : دعا سفيان بطعامٍ فأكله ، وبتمرٍ وزبدٍ فأكله ، ثم قام يصلي حين زالت الشمس إلى العصر ، وقال : أحسنوا إلى الزنجي وكدوه »[٢].

وقال أيضًا : « لما قدم سفيان علينا ، طبخت له قدر سِكْبَاج[٣] فأكل ، ثم أتيته بزبيب الطائف فأكل ، ثم قال : يا عبد الرزاق ، اعلف الحمار وكده . ثم قام يصلي حتى الصباح .

قال ابن وهب : رأيت سفيان في الحرم بعد المغرب صلى ، ثم سجد سجدةً ، فلم يرجع حتى نودي بالعشاء .

---

(١) الحلية ٦/٢١١ - ٢١٣ .
(٢) الحلية ٦/٣٨٩ .
(٣) السِّكْباج : لحمٌ يُطبخ بخَلٍّ .

وقال أحمد بن يونس : حدثنا علي بن الفضيل : رأيت الثوري ساجدًا ، فطفت سبعة أسابيع[1] قبل أن يرفع رأسه .

وعن مؤمل بن إسماعيل قال : أقام سفيان بمكة سنةً ، فما فتر من العبادة سوى من بعد العصر إلى المغرب ، كان يجلس مع أصحاب الحديث ، وذلك عبادة .

وعن ابن مهدي : كنت لا أستطيع سماع قراءة الثوري من كثرة بكائه »[2] .

قال سفيان ، وهو القوام لليل دائمًا : « حرمت قيام الليل بذنبٍ أحدثته ، خمسة أشهرٍ .

وقال مزاحم بن زفر : صلى بنا سفيان الثوري المغرب ، فقرأ حتى بلغ : إياك نعبُد وإياك نستعين ، بكى حتى انقطعت قراءته ، ثم فعاد فقرأ : الحمد لله »[3].

قال يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت رجلًا أفضل من سفيان لولا الحديث ، كان يصلي ما بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء صلاة ، فإذا سمع مذاكرة الحديث ، ترك الصلاة وجاء .

رحم الله الثوري ، لقد خالط حب الحديث لحمه ودمه .

قال عبد الرزاق : اجتمع سفيان وأصحابه ، فقال سفيان : حدثنا منصور عن إبراهيم عن علقمة ، ثم قال : هذا الشرف على الكراسي[4].

---

(١) الأسبوع هنا : الطواف الكامل حول الكعبة مرةً واحدةً ، فالمراد أنه طاف سبعًا .

(٢) السير ٧/٢٧٧ .

(٣) الحلية ٣/٧/١٧ .

(٤) الحلية ٧/٢١ .

قال عبد الرحمن بن إسحاق الكناني : لمَّا مات سفيان ، حملته إلى المغتسل فحللت إزاره ، فإذا فيها رقعة فيها أطراف الحديث[1] .

قال الحواري بن أبي الحواري : رأيت سفيان الثوري يصلي قائمًا حتى تغلبه عيناه ، ثم يصلي قاعدًا حتى يُعنَّى فيضطجع ، فيصلي مضطجعًا .

وقال الفرياني : كان سفيان الثوري يصلي ، ثم يلتفت إلى الشباب فيقول : إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟! .

وقال يحيى بن يمان : رأيت سفيان يخرج يدور بالليل ، وينضح في عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس .

قال إسحاق بن إبراهيم الحنيني : كنا في مجلس سفيان الثوري ، وهو يسأل رجلًا رجلًا عما يصنع في ليله ، فيخبره ، حتى دار القوم ، فقالوا : يا أبا عبد الله ، قد سألتنا فأخبرناك ، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك . قال : لها عندي أول نومةٍ ؛ تنام ما شاءت لا أمنعها ، فإذا استيقظت فلا أُقيلها والله[2] .

« قال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت في الناس رجلًا هو أرق من سفيان .

قال ابن مهدي : وكنت أُرامقُه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلَّا في أول الليلة ، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ، ينادي : النار ، شغلني ذكر النار عن الشهوات . كأنه يخاطب رجلًا في البيت ، ثم يدعو بماءٍ إلى جانبه ، فيتوضأ ثم يقول على إثر وضوئه : اللهم إنك عالمٌ بحاجتي غير معلم بما أطلب ، وما أطلب إلَّا فكاك رقبتي من النار ، اللهم إن الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمني ، وكل هذا من نعمتك السابغة علي ، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك ، إلهي قد علمت أن لو كان لي عذرٌ في التخلي ،

---

(١) (٢) الحلية ٧/٦٠ - ٦٢ .

ما أقمت مع الناس طرفة عينٍ . ثم يقبل على صلاته ، وكان البكاء يمنعه من القراءة ، حتى إني كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .

قال ابن مهدي : وما كنت أقدر أن أنظر إليه ؛ استحياءً وهيبةً منه .

قال أبو زيد عبثر : قرأ سفيان ليلةً : ﴿ **إنّا كُنّا قَبْلُ في أهلنا مشفقين** ﴾ [الطور : ٢٦] فخرج فارًّا على وجهه ، حتى لحقوه ، واجتمعت بنو ثورٍ على سفيان وهو شابٌّ ، يناشدونه مما كان فيه من العبادة – أي أقصر عن هذا – »[1] .

قال عبد الله بن الفرج : لما قضى سفيان حجه صار إلى البصرة ، فنزل على بقالٍ في جوار يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، فقال لي البقال : ما زال ليلةَ مات يقوم فيتمسح للصلاة ، حتى عددت له خمسين مرةً ، ثم مات من آخر الليل ، رحمةُ الله تعالى عليه[2] .

قال قبيصة : رأيت سفيان الثوري في النوم ، فقلت : ما فعل بك ربك ؟ فقال :

نظرتُ إلى ربِّي كِفاحًا فقال لي ... هنيئًا رِضائي عنك يا ابن سعيدِ
فقد كُنتَ قوَّامًا إذا أقْبَلَ الدُّجى ... بعَبْـرَةِ مُشتاقٍ وقَلْبِ عَمِيـدِ
فَدُونَكَ فاخْتَرْ أيَّ قَصرٍ أردتَهُ ... وزُرْني فإني منك غيرُ بعيدِ[3]

العَلَم المنشور ، والحَكَم المشهور ، الإمام المبجَّل ، والمقدام المفضَّل واحِدُ زمانِهِ ، وإمامُ عصرِهِ وأوانِهِ ، شيخُ الإسلام وعالمُ أهْلِ الشام أبو عمرٍو عبدُ الرحمن بن عمرٍو الأوْزاعِيُّ :

سئل رحمه الله عن الخشوع في الصلاة ، قال : غضُّ البصر ، وخفض

(١) الحلية ٧/٦٠ – ٦٢ .
(٢) الحلية ٧/٤٧ .
(٣) الحلية ٧/٧٤ .

الجناح ، ولين القلب ، وهو الحزن ، الخوف .

قال الوليد بن مزيد : كان الأوزاعي من العبادة على شيءٍ ما سمعنا بأحدٍ قوي عليه ، ما أتى عليه زوال قطُّ ، إلَّا وهو قائم يصلي .

قال الأوزاعي رحمه الله : من أطال قيام الليل ، هوَّن الله عليه وقوف يوم القيامة .

قال الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادًا في العبادة من الأوزاعي .

وقال ضمرة بن ربيعة : حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة ، فما رأيته مضطجعًا في المحمل في ليلٍ ولا نهارٍ قطُّ ، كان يصلي ، فإذا غلبه النوم استند إلى القتب .

وعن سلمة بن سلام : نزل الأوزاعي على أبي ، ففرشنا له فراشًا فأصبح على حاله ، ونزعت خفيه ، فإذا هو مبطن بثعلب[1] .

« قال عبيدة بن عثمان : من نظر إلى الأوزاعي اكتفى به ، بما يرى عليه من أثر العبادة ، كنت إذا رأيته قائمًا يصلي ، كأنما تنظر إلى جسدٍ ليس فيه روح »[2] .

قال بشر بن المنذر : رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع .

قال أبو مسهر عنه : كان يحيي الليل صلاة وقرآنًا وبكاءً ، وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت ، أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي ، وتتفقد موضع مُصلّاه ، فتجده رطبًا من دموعه في الليل[3] .

« دخلت امرأةٌ كانت لها صلةٌ بزوج الأوزاعي ، فنظرت فوجدت بللًا في مسجده ؛ في موضع سجوده ، فقالت لها : ثكلتك أُمُّكِ ، أراك غفلت

---

(١) السير ٧/١١٩ .

(٢) الجرح والتعديل ١/٣١٨ .

(٣) السير ٧/١١٩ - ١٢٠ .

عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ . فقالت لها : ويحك ، هذا يصبح كل ليلةٍ من أثر دموع الشيخ في سجوده »[١] .

نَزَف البكاءُ دموعَ عَيْنِكَ فاسْتَعِرْ عينًا لغيْـرِكَ دَمْعُها مِـدْرارُ
مَنْ ذا يُعيرُكَ عينَهُ تبكـي بهـا أرأيـت عيْنًا للدُّمـوعِ تُعـارُ

نضر الله وجهك أبا عمرٍو بالنظر إلى وجهه ، كما أفنيت دمعك في تهجدك .

شيخُ العراق ، المعظِّم للمعالي العِظام ، المسَلِّم مُدَّته بمُصاحَبَةِ الأعِفَّة الكِرام ، أبو سلمة مِسْعَرُ بنُ كِدَام :

كان للحق ناصحًا ودودًا ، وفي عبادة ربه كادحًا كدودًا .

« قال سفيان بن عيينة عنه : ما رأيت أفضل من مسعر ، كان مسعر من معادن الصدق .

عن خالد بن عمرو قال : رأيت مسعرًا كأن جبهته ركبة عنزٍ من السجود »[٢] .

« قال أبو الوليد الضبي : رأيت شيخًا من الأعراب له سِنٌّ ، يتوكأ على محجنٍ ، قد قصد مسعر بن كدام فوجده يصلي ، فأطال مسعر الصلاة ، فأعيا الشيخ فجلس ، فلما فرغ مسعر من صلاته ، قال الشيخ : خذ من الصلاة كفيلًا . فقال له مسعر : اقصد لما يبقى عليك نفعه »[٣] .

وقال رحمه الله : من همته نفسه ، تبين ذلك عليه .

أميرُ المؤمنين في الحديث ، المتثبِّتُ المِحْجاجُ أبو بِسْطَامٍ شُعْبَةُ بن الحَجّاجِ :

كان حماد بن زيد إذا حدث عن شعبة قال :

حدَّثنا الضَّخْمُ عن الضِّخامْ شُعْبَةُ الخيرِ أبو بِسطَامْ

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢١٨/١ ، البداية والنهاية ١١٧/١٠ .
(٢) السير ١٦٥/٧ .
(٣) الحلية ٢٢٢/٧ .

قال يحيى بن معين : شعبة إمام المتقين .

وقال أبو زيد الأنصاري : هل العلماء إلا شعبة من شعبة .

وكان الثوري يقول : ما فعلَ أُستاذنا شعبة .

قال أبو قطن : ما رأيت شعبة ركع قطُّ ، إلّا ظننت أنه نسي ، ولا قعد بين السجدتين ، إلّا قلت : قد نسي . وقال : كانت ثياب شعبة كالتراب ، وكان كثير الصلاة ، سخيًّا .

قال أبو بحر البكراوي : ما رأيت أَحَدًا أَعْبَدَ لله من شعبة ، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه واسود . [حتى جفَّ جِلْدُهْ على ظهره ، ليس بينهما لحم] .

قال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت أحدًا أمعن في العبادة من شعبة رحمه الله .

وقال عبد العزيز بن أبي رواد : كان شعبة إذا حك جسمه ، انتثر منه التراب ، وكان سخيًّا كثير الصلاة .

وقال عفان : كان شعبة من العُبّاد[1] .

رحم الله شعبة العابد العالم ، الذي خالطت العبادة والحديث لحمه ودمه ، قال رحمه الله : « إن الذين يطلبون الحديث على الدواب لا يفلحون .

وقال : إني لأُذاكر بالحديث قد فاتني فأمرض »[2].

فأي همة أعلى من هذه الهمة الشريفة والشريف صاحبها .

شيخُ الإسلام القُدوةُ حمَّاد بنُ سلمة :

« قال عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحماد بن سلمة : إنك تموت غدًا . ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا .

---

(١) السير ٧/٢٠٢ - ٢٢٨ .

(٢) الحلية ٧/١٥٥ - ١٥٦ .

قال الذهبي : قلت : كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد .

قال موسى بن إسماعيل : لو قلت لكم : إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا ؛ لصدقت ؛ كان مشغولًا : إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي ، قد قسم النهار على ذلك .

قال يونس بن محمد المؤدب : مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد »[١].

رحم الله من كانت خاتمته في الصلاة جماعة .

شيخُ الإسلام وبَقِيَّةُ الأعلام ، القارِىءُ الهشَّاش ، العابِدُ البشَّاشُ ، أبو بكر ابنُ عَيَّاش :

كان في العداد واحدا ، وفي العبادة شاهدا . ارتقاء لاقتراب ، وانتصاب في ارتقاب .

« قال رحمه الله : قال لي رجلٌ مرةً وأنا شابٌّ : خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ؛ فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا . قال : فما نسيتها أبدًا »[٢].

« قال الأحمسي : ما رأيت أحدًا أحسن صلاةً من أبي بكر بن عياش .

وعن أبي عبد الله النخعي قال : لم يفرش لأبي بكر بن عياش فراشٌ خمسين سنة .

وقال يزيد بن هارون : كان أبو بكر بن عياش خيِّرًا فاضلًا ، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة »[٣].

---

(١) السير ٧/٤٤٤ - ٤٥٦ .

(٢) الحلية ٨/٣٠٣ .

(٣) السير ٨/٤٩٥ - ٥٠٣ .

الإمامُ القُدوةُ مُفتي دمشق : أبو عبد العزيز سعيدُ بنُ عبد العزيز التَّنُوخِيُّ :

« قال أبو حاتم الرازي : كان أبو مسهر يقدّم سعيدًا على الأوزاعي .

وقال الحاكم : سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام كمالكٍ لأهل المدينة في التقدم والفقه والأمانة .

قال عنه إسحاق بن إبراهيم أبو النضر : كنت أسمع وقع دموع سعيد ابن عبد العزيز على الحصير في الصلاة .

قال أحمد بن أبي الحواري : حدثني أبو عبد الرحمن الأسدي ، قال : قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاةِ ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : لعل الله أن ينفعني به . فقال : ما قمت إلى صلاةٍ إلَّا مثلت لي جهنم »(١).

هذا والله الخشوع .. وهذه والله هي الصلاة التي هي قرة عين صاحبها .

« قال محمد بن المبارك الصوري : كان سعيد إذا فاتته صلاة الجماعة بكى »(٢).

وهذا والله بكاء الرجال .

« قال الوليد بن مسلم : كان سعيد بن عبد العزيز يُحيي الليل ، فإذا طلع الفجر ، جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد »(٣).

الإمامُ المحدِّثُ الرَّبّانيُّ أبو محمد الأزديُّ السليميُّ بِشْر بن منصورٍ :

المتعبد العليم ، المتوكل السليم ، أستاذ عليٍّ بن المديني ، وعبد الرحمن ابن مهدي،وبشر الحافي .

---

(١) السير ٨/٣٢ - ٣٤ .

(٢) الحلية ٦/١٢٦ .

(٣) السير ٨/٣٥ .

قال عنه عبد الرحمن بن مهدي : لم أر مثله .

قال العباس بن الوليد بن نصر : كان بشر بن منصور يستحب أن يصلي بالأوقات ولا يتحرى .

قال غسَّان بن الفضل : كان بشر بن منصور من الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله ، وإذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة .

قال أسيد بن جعفر ابن أخي بشر بن منصور : بشر بن منصور ما فاتته التكبيرة الأُولى قط[١] .

قال ابن مهدي : ما رأيت أحدًا أقدمه عليه في الورع والرقة .

وقال علي بن المديني : ما رأيت أحدًا أخوف لله من بشر بن منصور ، كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة .

قال سهل بن منصور : كان بشر يصلي فيطول ، ورجل وراءه ينظر ، ففطن له ، فلما انصرف قال : لا يعجبك ما رأيت مني ، فإن إبليس قد عبد دهرًا مع الملائكة[٢] .

شيخُ الإسلام الإمامُ أبو عبد الله جريرُ بن عبد الحميد :

قال علي بن المديني : كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل ، وكان له رسن ، يقولون : إذا أعيا تعلق به ، يريد أنه كان يصلي[٣] .

الإمام الحافظُ وكيعُ بنُ الجرَّاح :

قال يحيى بن أيوب : حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه ، أن وكيعًا كان لا ينام حتى يقرأ جُزْأَهُ من كل ليلة ثلث القرآن ،

---

(١) الحلية ٦/٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) السير ٨/٣٦٠ - ٣٦١ .

(٣) السير ٩/٩ - ١٨ .

ثم يقوم في آخر الليل ، فيقرأ المفصل ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر .

قال إبراهيم بن وكيع : كان أبي يصلي فلا يبقى في دارنا أحدٌ إلَّا صلّى ، حتى جارية لنا سوداء .

وقال أحمد بن سنان : رأيت وكيعًا إذا قام في الصلاة ، ليس يتحرك منه شيءٌ ، لا يزول ولا يميل على رِجْلٍ دون الأخرى[١] .

الإمام الرَّضيّ ، والزِّمام القويّ عبد الرحمن بن مهدي :

عن يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي ، أن أباه قام ليلةً - وكان يُحيي الليل كله - فلمّا طلع الفجر ، رمى بنفسه على الفراش ، فنام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ، فقال : هذا مما جنى عليَّ هذا الفراش ، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض وجلده شيئًا شهرين ، فقرَّح فخذيه جميعًا[٢] .

« قال عبد الرحمن رسته : سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله ، أيترك الجماعة أيامًا ؟ قال : لا ، ولا صلاة واحدة . وحضرته صبيحة بني على ابنته ، فخرج فأذن ، ثم مشى إلى بابهما ، فقال للجارية : قولي لهما : يخرجان إلى الصلاة . فخرج النساء والجواري ، فقلن : سبحان الله ! أي شيءٍ هذا ؟! فقال : لا أبرح حتى يخرجا إلى الصلاة . فخرجا بعدما صلَّى ، فبعث بهما إلى مسجدٍ خارج الدرب »[٣] .

قال الذهبي : هكذا كان السلف في الحرص على الخير[٤] .

---

(١) السير ١٤٨/٩ - ١٤٩ ، ١٥٧ .

(٢) الحلية ١٢/٩ .

(٣) الحلية ١٣/٩ .

(٤) السير ٢٠٤/٩ .

الإمام القُدوةُ أبو خالد يزيدُ بن هارونَ بنِ زاذي السلمي :

قال عنه الذهبي في السير ٣٥٨/٩ : « كان رأسًا في العلم والعمل ، ثقة حجة ، كبير الشأن .

قال أحمد بن سنان القطان : ما رأينا عالمًا قط أحسن صلاةً من يزيد ابن هارون ، يقوم كأنه أسطوانة ، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار .

وعن عاصم بن علي قال : كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس بن الربيع ، فأما يزيد فكان إذا صلى العتمة ، لا يزال قائمًا حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيِّفًا وأربعين سنة .

وقال محمد بن إسماعيل الصائغ نزيل مكة : قال رجل ليزيد بن هارون : كم جزؤك ؟ قال : وأنام من الليل شيئًا ؟! إذن لا أنام الله عيني .

قال أحمد بن عبد الله العجلي : يزيد بن هارون ثقة متعبد حسن الصلاة جدًّا ، يصلي الضحى ست عشرة ركعة ، بها من الجودة غير قليل »[(١)] .

قال أحمد بن سنان : كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل والنهار[(٢)] .

الإمام الحافظ مقرىء البصرة وأحد القُرّاء العشرة ، يعقوب بن إسحاق ابن زيد الحضرمي :

« أبوه من القُرَّاءِ كانَ وجَدُّهُ ويعقوبُ في القُرَّاءِ كالكوكبِ الدُّرِّي
تفرُّدُهُ مَحْضُ الصَّوابِ وَوَجْهُهُ فَمَنْ مِثْلُهُ في وَقْتِهِ وإلى الحَشْرِ

قال أبو القاسم الهذلي في « كامله » : ومنهم يعقوب الحضرمي ، لم يُر

---

(١) تاريخ بغداد ٣٤٠/١٤ - ٣٤١ .
(٢) السير ٣٦١/٩ .

في زمانه مثله ، كان عالمًا بالعربية ووجوهها ، والقرآن واختلافه ، فاضلًا تقيًّا ، نقيًّا وَرِعًا زاهدًا ، بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر ، ورد إليه فلم يشعر ؛ لشغله بعبادة ربه »[١].

الإمام الحافظ هُدبة بن خالد ، أبو خالد القيسي :

« كان من العلماء العاملين .

رحم الله هدبة ، وأين مثل هدبة .

قال عبدان الأهوازي : كنا لا نصلي خلف هدبة من طول صلاته ، يسبح في الركوع والسجود نيِّفًا وثلاثين تسبيحة . قال : وكان من أشبه خلق الله بهشام بن عمار ، لحيته ووجهه ، وكل شيءٍ منه ، حتى صلاته »[٢].

الإمام المجتهد قاضي القضاة أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم :

« قال ابن سماعة : كان ورد أبي يوسف في اليوم مائتي ركعة »[٣].

الإمام حقّا ، وشيخ الإسلام صِدْقا ، الإمام المبجَّل ، والهُمام المفضل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ... معلِّم الخير وإمامُ أهل السُّنَّة :

« قال عبد الله بن أحمد : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته ، فكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة »[٤].

« قال إبراهيم بن هاني النيسابوري - وكان رأسًا في العبادة وعلوّ

---

(١) السير ١٠/١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) السير ١١/٩٩ .

(٣) السير ٨/٥٣٧ .

(٤) السير ١١/٢١٢ .

الهمّة -: كان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان عندي . وذكر من اجتهاده في العبادة أمرًا عجبًا . قال : وكنت لا أقوى معه على العبادة ، وأفطر يومًا واحدًا واحتجم »[١].

« قال الإمام أحمد : ما أُبالي أن لا يراني أحد ولا أراه ، وإني لأشتهي أن أرى عبد الوهاب الورّاق .

وقال عبد الوهاب : أبو عبد الله إمامنا ، وهو من الراسخين في العلم ، إذا وقفت غدًا بين يدي الله فسألني : بمن اقتديت ؟ أي شيءٍ أقول ؟ وأي شيءٍ ذهب على أبي عبد الله من أمْر الإسلام ؟! »[٢] .

راهِب الكوفة الإمام الحُجَّة القُدوةُ زينُ العابدين أبو السَّرِيّ هنّادُ بن السّرِيّ بن مصعب :

« قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ : كان هنّاد - رحمه الله - كثير البكاء ، فرغ يومًا من القراءة لنا ، فتوضأ وجاء إلى المسجد ، فصلى إلى الزوال وأنا معه بالمسجد ، ثم رجع إلى منزله فتوضأ ، وجاء فصلى بنا الظهر ، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب . قال : فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة . فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل . وكان يقال له : راهب الكوفة »[٣].

الزّاهِد القُدوةُ الرَّبّانيُّ : الآخِذ بالألْزَم والأقْوم ، المُؤْثِر للأدْوَم والأعَمّ ، أبو عبد الرحمن حاتِم الأصمُّ :

قال عنه الذهبي في السير (١١/٤٨٤ - ٤٨٥) : « حاتم بن عنوان ابن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة ، الأصم ، له كلام جليل في

(١) السير ١١/٢٢٧ .
(٢) السير ١١/٣٠٤ - ٣٠٥ .
(٣) السير ١١/٤٦٥ - ٤٦٦ .

الزهد والمواعظ والحكم ، كان يقال له : لقمان هذه الأمة » .

« عن رباح الهروي قال : مر عصام بن يوسف بحاتمٍ الأصم وهو يتكلم في مجلسه ، فقال : يا حاتمَ تحسن تصلي ؟ قال : نعم . قال : كيف تصلي ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر ، وأمشي بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأُسلم بالسبل والسنة ، وأسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل ، وأرجع إلى نفسي بالخوف ، أخاف أن لا تقبل مني ، وأحفظه بالجهد إلى الموت . قال : تكلم فأنت تحسن تصلي »[(١)] .

هذه صلاة المراقب عالي الهمة ... من ظن أنه يصل بغير بذل المجهود فهو متمن ، ومن ظن أنه يصل ببذل المجهود فهو مُتَعَنٍّ .

« **قال حاتم الأصمّ** : فاتتني الصلاة في الجماعة ، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف ، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا »[(٢)] .

الإمام المُزَنّي شيخ الشافعيَّة :

كان رحمه الله إذا فاتته صلاة الجماعة ، صلى تلك الصلاة خمسًا وعشرين مرة[(٣)] .

فقيهُ المغرب ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس :

تلميذ الإمام سحنون .

---

(١) الحلية ٧٥/٨ .

(٢) الإحياء ١٧٧/١ .

(٣) السير ٤٩٢/١٢ - ٤٩٧ .

قال عبد الله بن إسحاق بن التبان : إن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء ، وكان على غاية التواضع[١] .

عَلَم الحُفَّاظ وأميرُ المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري :

« قال مسبح بن سعيد : كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان ، في النهار كل يوم ختمة ، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة .

قال محمد بن أبي حاتم الوراق : كان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم ، فقلت : أراك تحمل على نفسك ولم توقظني ، قال : أنت شابٌّ ، ولا أُحِبّ أن أُفسد عليك نومك .

قال بكر بن منير : كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، فلما قضى الصلاة قال : انظروا أيش آذاني »[٢] .

« قال محمد بن أبي حاتم : دُعِي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما صلى بالقوم الظهر ، قام يتطوع ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه ، فقال لبعض من معه : انظر ، هل ترى تحت قميصي شيئًا ؟ فإذا زنبور قد أبره في ستة عشر أو سبعة عشر موضعًا ، وقد تورم من ذلك جسده ، فقال له بعض القوم : كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك ؟ قال : كنت في سورةٍ ، فأحببت أن أُتمها » .

إمام أهْل الرَّي : أبو زرْعَة : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرَّازي :

« كتب إليه إسحاق بن راهويه : إني أزداد بك كل يوم سرورًا ، فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سنته .

---

(١) السير ١٣/٦٤ .

(٢) طبقات الحنابلة ١/٢٧٦ ، والسير ١٢/٤٣٩ - ٤٤٢ .

وقال محمد بن يحيى النيسابوري : لا يزال المسلمون بخيرٍ ما أبقى الله عز وجل لهم مثل أبي زرعة ، وما كان الله عز وجل ليترك الأرض ، إلَّا وفيها مثل أبي زرعة يعلم الناس ما جهلوا »[١] .

صلى أبو زرعة الرازي عشرين سنة ، وفي محرابه كتابةٌ ، فسئل عن الكتابة في المحراب فقال : قد كرهه قومٌ ممن مضى . فقالوا له : هو ذا في محرابك كتابة ، أما علمت به ؟ قال : سبحان الله ! رجل يدخل على الله ويدري ما بين يديه .

يا سبحان الله ! هذه القمم ، وهؤلاء الرجال في خشوعهم وشغلهم بالله عن كل شيء .

شيخ الإسلام إمام أهل المغرب بَقِيّ بن مَخْلَد :

قال أبو عبيدة صاحب القبلة : كان بقي يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة . وكان يصلي بالنهار مائة ركعة ، ويصوم الدهر ، وكان كثير الجهاد ، فاضلًا[٢] .

قال عبد الرحمن بن أحمد بن بقي : « كان جدي قد قسّم أيامه على أعمال البرّ ، وكان إذا صلّى الصبح قرأ حزبه من القرآن في المصحف ، سدس القرآن ، وكان أيضًا يختم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة ، ويخرج كل ليلة في الثلث الأخير إلى المسجد ، ويختم قرب انصداع الفجر ، وكان يصلي بعد حزبه من المصحف صلاة طويلة جدًّا ، ثم ينقلب إلى داره ، وقد اجتمع في مسجده الطلبة ، فيجدد الوضوء ويخرج إليهم ، فإذا انقضت الدول ، صار إلى صومعة المسجد ، فيصلي إلى الظهر ، ثم يكون هو المبتدىء

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل ص٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٢ .

بالأذان ، ثم يهبط ، ثم يُسمِع إلى العصر ويصلي ويَسمَع ، وربما خرج في بقية النهار ، فيقعد بين القبور يبكي ويعتبر ، فإذا غربت الشمس أتى مسجده ، ثم يصلي ويرجع إلى بيته فيفطر ، وكان يسرد الصوم إلى يوم الجمعة ، ويخرج إلى المسجد فيخرج إليه جيرانه ، فيتكلم معهم في دينهم ودنياهم ، ثم يصلي العشاء ويدخل بيته فيُحدِّث أهله ، ثم ينام نومة قد أخذتها نفسه ، ثم يقوم . هذا دأبه إلى أن توفي[١] .

سيد الطائفة الجُنَيْد بن محمد بن الجُنيد البغدادي :

المربي بفنون العلم ، المؤيد بعيون الحلم ، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان ، فاق أشكاله بالبيان الشافي واعتناقه للمنهج الكافي ، ولزومه للعمل الوافي .

قال عنه الذهبي في السير (٦٦/١٤ - ٧٠) : « أتقن العلم ، ثم أقبل على شأنه ، وتأله وتعبد ، ونطق بالحكمة ..... رحمة الله على الجنيد . وأين مثل الجنيد في علمه وحاله » .

قال رحمه الله : فتح كل بابٍ وكل علم نفيس بذل المجهود .

وقال أبو الحسين بن الدراج : « ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات ، بعد ما ألطفهم الله به من الكرامات ، فقال الجنيد : العبادة على العارفين ، أحسن من التيجان على رؤوس الملوك »[٢] .

قال الذهبي في السير (٦٧/١٤ - ٦٨) : « قيل : إنه كان في سوقه ووِرده كل يوم ثلاثمائة ركعة ، وكذا كذا ألف تسبيحة . وقال ابن نجيد : كان الجنيد يفتح حانوته ويدخل ، فيسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ».

---

(١) السير ٢٩٥/١٣ .

(٢) الحلية ٢٥٧/١٠ .

« قال الجنيد : لو أقبل صادقٌ على الله ألفَ ألف سنةٍ ، ثم أعرض عنه لحظةً ، كان ما فاته أكثر مما نالهُ .

قال محمد بن إبراهيم : رأيت الجنيد في النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات ، وغابت تلك العبارات ، وفنيت العلوم ، ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف السحر »(١) .

شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي :

« قال أبو بكر الصبغي : أدركت إمامين لم أُرزق السماع منهما : أبو حاتم الرازي ، ومحمد بن نصر المروزي ، فأما ابن نصر فما رأيت أحسن صلاةً منه ، لقد بلغني أن زنبورًا قعد على جبهته ، فسال الدم على وجهه ولم يتحرك .

وقال محمد بن يعقوب بن الأخرم : ما رأيت أحسن صلاةً من محمد ابن نصر ، كان الذباب يقع على أُذنه ، فيسيل الدم ولا يذُبُّهُ عن نفسه ، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته للصلاة ، كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كأنه خشبة منصوبة »(٢) .

الزاهد أبو الحسين النُّورِيّ :

« صحب السري السقطي وغيره ، كان الجنيد يعظمه .

قال علي بن عبد الرحيم : دخلت على النوري ، فرأيت رجليه منتفختين ، فسألته عن أمره فقال : طالبتني نفسي بأكل تمرٍ ، فدافعتها ، فأبت عليَّ ، فاشتريته ، فلما أكلت ، قلت : قومي فصلي ، فأبت ، فقلت : لله عليّ إن قعدت على الأرض أربعين يومًا ، فما قعدت ؛ يعني إلا

---

(١) الحلية ١٠/٢٧٨ - ٢٨٧ .
(٢) السير ١٤/٣٦ - ٣٧ .

في صلاةٍ »[١].

الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري :

الفقيه الشافعي تلميذ المزني .

« قال أبو الفتح يوسف القواس : سمعت أبا بكر النيسابوري يقول : تعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يوم بخمس حبات ، ويصلي صلاة الغداة على طهارة عشاء الآخرة ؟ ثم قال : أنا هو ، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوجني ؟! ثم قال : ما أراد إلا الخير »[٢].

الإمام المحدِّث مُسْنِد عصرِهِ أبو العباس محمد بن يعقوب الأصَمّ :

كان أبوه من أصحاب إسحاق بن راهويه .

« قال الحاكم : كان يرجع إلى حسن مذهب وتدين ، وبلغني أنه أذَّن سبعين سنة في مسجده ، وربما كان يحتاج إلى الشيء لمعاشه ، **فيورِّق** ويأكل من كسب يده »[٣].

هذه والله الرجولة ... **يؤذِّن** سبعين سنة ، فما أعلى همته !! .

وقد قال رسول الله ﷺ : « من أذن ثنتي عشرة سنة ، وجبت له الجنة ، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة ، وبإقامته ثلاثون حسنة »[٤].

---

(١) السير ١٤/٧٠ - ٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٠/١٢٢ ، والسير ١٥/٦٦ .

(٣) الأنساب للسمعاني ١/٢٩٥ ، والسير ١٥/٤٥٥ .

(٤) صحيح . رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ، وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٧٨) .

الإمام الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني :

« عن بعض الطلبة قال : ما دخلت على أبي الشيخ إلَّا وهو يصلي »[(١)].

العبد الصالح والِدُ ابنِ جُمَيْع ؛ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد الغسَّاني الصيداوي :

والِدُ المحدِّث الرَّحَّال أبي الحسين صاحب المعجم .

« حكى حفيده عن خادم جده طلحة ، أن جده أبا بكرٍ كان يقوم الليل كله ، فإذا صلى الفجر نام إلى الضحى ، وإذا صلى الظهر يركع إلى العصر . إلى أن قال : وكانت هذه عادته »[(٢)].

الشيخ الإمام العارف الفقيه القُدوةُ ، أبو عبد الله محمد بن خَفِيف الشِّيرازِي شيخ الصوفية :

قال ابن باكويه : سمعت ابن خفيف يقول : كنت في بدايتي ربما كنت أقرأ في ركعةٍ القرآن كله .

« وروي عن ابن خفيف ، أنه كان به وجع الخاصرة ، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة ، فكان إذا نودي للصلاة ، يحمل على ظهر رجل ، فقيل له : لو خففت على نفسك ؟ قال : إذا سمعتم حيّ على الصلاة ولم تروني في الصف ، فاطلبوني في المقبرة »[(٣)].

الإمام الحافظ الأنْبَل القُدوةُ حُسيْنَك أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري ابنُ مُنَيْنَة :

قال عنه الحاكم تلميذه : « هو شيخ العرب في بلدنا ، ومن ورث

---

(١) السير ٢٧٨/١٦ .

(٢) السير ٣١٩/١٦ .

(٣) السير ٣٤٦/١٦ .

الثروة القديمة ، وسلفه جلة ، صحبته حضرًا وسفرًا ، فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة ، وكان يقرأ سبُعا كلَّ ليلة ، وكانت صدقاته دارّةً سرًّا وعلانيةً ، أخرج مرةً عشرةً من الغزاة بآلاتهم عوضًا عن نفسه ، ورابط غير مرة »[(١)].

الإمام أبو بكر ابن الباقِلَّاني :

قال عنه أبو بكر الخطيب : « كان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر »[(٢)] . أي ثمانون ركعة .

الشيخ القُدوةُ العابد المُسْنِد أبو الفضل محمد بن عبيد الله الصَّرَّام :

« مات في عشر التسعين ، وكان يقرأ القرآن في ركعتين ويديم التعبد والتلاوة »[(٣)].

الشيخ الصّادِق الزاهد القُدوةُ أبو العباس أحمد بن أبي غالب المعروف بابن الطَّلَّايَة :

بركة المسلمين .

قال عنه السمعاني : « شيخ كبير أفنى عمره في العبادة والقيام والصيام ، لعله ما صرف ساعةً من عمره إلَّا في عبادة ، وانحنى حتى لا يتبين قيامه من ركوعه إلا بيسير »[(٤)].

« قال أبو المظفر ابنُ الجوزي : سمعت مشايخ الحربية يحكون عن آبائهم وأجدادهم ، أن السلطان مسعودًا لما أتى بغداد ، كان يحب زيارة العلماء

---

(١) السير ٤٠٨/١٦ .
(٢) تاريخ بغداد ٢٨٠/٥ ، والسير ١٩١/١٧ .
(٣) السير ٤٨٣/١٨ .
(٤) الأنساب للسمعاني ٣٧/٨ .

والصالحين ، فالتمس حضور ابن الطَّلاية ، فقال للرسول : أنا في هذا المسجد ، أنتظر داعي الله في النهار خمس مرات . فذهب الرسول ، فقال السلطان : أنا أوْلَى بالمشي إليه . فزاره فرآه يصلي الضحى ، وكان يطولها يصليها بثمانية أجزاء ، فصلى معه بعضها ، فقال له الخادم : السلطان قائمٌ على رأسك . فقال : أين مسعود ؟ قال : ها أنا . قال : يا مسعود ، اعدل ، وادع لي . الله أكبر . ثم دخل في الصلاة ، فبكى السلطان ، وكتب ورقة بخطه بإزالة المكوس والضرائب ، وتاب توبة صادقٍ »[1] .

الفقيه الحنبلي الزاهِد جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجاني :

« كان من عباد الله الصالحين ، أمّارًا بالمعروف ، **نهَّاءً** عن المنكر ، كان مُداومًا على الصيام والتَّهجُّد والقيام ، له **ختماتٌ** كثيرة جدًّا ، كل ختمة منها في ركعة ، توفي في الصلاة ساجدًا سنة ٥٠٦ . رحمه الله »[2] .

شيخ الإسلام عالِم الحُفَّاظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسِيّ :

« كان لا يضيع شيئًا من زمانه بلا فائدة ، فإنه كان يصلي الفجر ، ويلقن القرآن ، وربما أقرأ شيئًا من الحديث تلقينًا ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر ، وينام نومة ، ثم يصلي الظهر ، ويشتغل إمَّا بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائمًا أفطر ، وإلَّا صلى من المغرب إلى العشاء ، ويصلي العشاء ، وينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم قام كأن إنسانًا يوقظه ، فيصلي لحظة ، ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر ، ربما توضأ سبع مرات أو ثمانيًا في الليل ، وقال : ما تطيب لي الصلاة إلَّا ما دامت أعضائي رطبةً . ثم ينام نومة يسيرةً إلى الفجر ، فهذا دأبه .

---

(١) السير ٢٠/٢٦٢ ، ومرآة الزمان ٨/١٣٢ .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/١١١٠ .

قال موفق الدين ابن قدامة : كان الحافظ عبد الغني جامعًا للعلم والعمل ، كان رفيقي في الصبا وفي طلب العلم ، وما كنا نستبق إلى خير إلَّا سبقني إليه ، إلَّا القليل ، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم . قال الضياء : قال محمود بن سلامة التاجر الحرّاني : كان الحافظ عبد الغني نازلًا عندي بأصبهان ، وما كان ينام من الليل إلَّا قليلًا ، بل يصلي ويقرأ ويبكي .

وسمعت الحافظ يقول : أضافني رجلٌ بأصبهان ، فلما تعشينا كان عنده رجلٌ أكل معنا ، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل ، فقلت : ما له ؟ قالوا : هذا رجل شمسيٌّ . فضاق صدري ، وقلت للرجل : ما أضفتني إلا مع كافرٍ . قال : إنه كاتب ، ولنا عنده راحة . ثم قمت بالليل أُصلّي ، وذاك يستمع ؛ فلمّا سمع القرآن تزفر ، ثم أسلم بعد أيام ، وقال : لمَّا سمعتك تقرأ ، وقع الإسلام في قلبي »[1].

لله دَرُّك يا شيخ الإسلام ، والله لأنت أولى الناس بما قاله ابن الدَّواليبي « ابن الخرَّاط » :

كَمْ قَد صَفَتْ لقلوبِ القَوْمِ أوقاتُ ... وكم تَقَضَّتْ لهمْ باللَّيْلِ لَـذَّاتُ
واللَّيْلُ دَسْكَرَةُ العُشَّاقِ يَجْمَعُهُـمْ ... ذِكْرُ الحبيبِ وصِرْفُ الدَّمْعِ كَاساتُ
ماتـوا فأحياهـمُ إحيـاءُ لَيْـلِهِـمُ ... ومَنْ سواهـمْ أناسٌ بالكَرَى ماتـوا
لَمَّا تَجَلَّى لهمْ والحُجْبُ قد رُفِعَتْ ... تَهَتَّكُوا وصَبَتْ منهـمْ صَبابـاتُ
وغَيَّبَتْهُمْ عن الأكـوانِ في حُجُـبٍ ... وأَظهَرَتْ سِرَّ مَعْناهُمْ إشـاراتُ
ساقِي القلوبِ هو المحبوبُ يَشهدُهُ ... صَبٌّ لهم بقيام اللَّيل عـاداتُ
إذا صفا الوقتُ خافوا مِنْ تَكَدُّرِه ... وللوصولِ من الهِجْرانِ آفاتُ[2]

(١) السير ٢١/٤٥٢ - ٤٥٣ .
(٢) طبقات الشافعية ٩/٢٠١ .

الإمام المحدِّث شيخ الإسلام أبو عمر محمد بن أحمد بن قُدامة المَقْدِسِيّ ، أخو الشيخ ابن قُدامة :

جمع له الحافظ الضياء سيرة في جزأين فشفى وكفى ، وقال : ما ترك قيام الليل من وقت شبوبيَّته ، فإذا رافق ناسًا في السفر ، ناموا وحرسهم يصلي .

قال الذهبي : « كان قدوة صالحًا عابدًا ، قانتًا لله ربانيًّا ، خاشعًا مخلصًا ، عديم النظير كبير القدر ، كثير الأوراد والذكر والمروءة والفتوة والصفات الحميدة ، قل أن ترى العيون مثله . قيل : كان ربما تهجد ، فإن نعس ضرب على رجليه بقضيبٍ حتى يطير النعاس ، وكان يكثر الصيام ، ويتلو كل ليلة سُبْعًا مرتَّلًا في الصلاة ، وفي النهار سُبعًا بين الصلاتين ، وإذا صلى الفجر تلا آيات الحرس ويسٓ ، والواقعة وتبارك ، ثم يقرىء ويُلقِّن إلى ارتفاع النهار ، ثم يصلي الضحى فيُطيل ، ويصلي طويلًا بين العشاءين ، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جمعة ، ويصلي يوم الجمعة ركعتين بمائة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، فقيل : كانت نوافله في كل يومٍ وليلة اثنتين وسبعين ركعة »[١] .

العابِد التَّقِيّ ، فَتْح بن سعيد الموصليُّ :

« قال إبراهيم بن عبد الله : صدع فتحٌ الموصلي فعرج ، فقال : يا رب ابتليتني ببلاء الأنبياء ، فشكر هذا أن أُصلّي الليلة أربعمائة ركعة »[٢] .

الإمام الحافظ القُدوةُ العابد أبو قَلَابَةَ عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي مُحدِّث البَصرة :

« أريت أُمُّه وهي حامِلٌ به كأنها ولدت هدهدًا ، فقال لها عابرٌ :

---

(١) السير ٦/٢ - ٧ .

(٢) الحلية ٢٩٢/١٠ .

إن صدقت رؤياك تلدين ولدًا يكثر الصلاة »[١].

« قال أحمد بن كامل القاضي : قيل:إن أبا قلابة كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة »[٢].

أخي ، حين يتقرب الأغنياء بالمال يتقرب الزهاد بالصلاة .

فانظر إلى ما فعل سمنون المحب وأبو أحمد القلانسي القدوة الزاهد .

« قال الخلدي : قال لي أبو أحمد القلانسي : فرَّق رجلٌ أربعين ألفًا على الفقراء ، فقال لي سمنون : أما ترى ما أنفق هذا ، وما قد عمله ؟! ونحن لا نرجع إلى شيءٍ ننفقه ، فامض بنا إلى موضعٍ . فذهبنا إلى المدائن ، فصلينا أربعين ألف ركعة »[٣].

ومن عُلُوّ الهِمَّة في الصلاة : حِرْص الرَّجُل على قيام الليل :

قال رسول الله ﷺ : « نِعْم الرَّجُل عبدُ الله لو كان يُصلِّي من الليل »[٤].

قال سالم بن عبد الله بن عمر : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلَّا قليلًا .

قال الحافظ في الفتح (٣/٩ - ١٠) : « مقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل » .

وفي رواية حفصة : قال رسول الله ﷺ : « إن عبد الله رجلٌ صالحٌ لو كان يكثر الصلاة من الليل »[٥].

---

(١) تاريخ بغداد ٤٢٦/١٠ .

(٢) السير ١٧٨/١٣ .

(٣) تاريخ بغداد ١١٥/١٣ .

(٤) رواه البخاري ومسلم - واللفظ له - وأحمد في مسنده .

(٥) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « في الجنة غُرفةٌ يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها » . فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائمًا والناس نيام »(١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يومًا ويفطر يومًا »(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل ، فقال : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميّتٌ ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس »(٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه ، من بين أهله وحبه إلى صلاته ، فيقول الله جل وعلا : [أيا ملائكتي] انظروا إلى عبدي ، ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله

---

(١) صحيح . رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . ووافقه الذهبي ، وحسنه الهيثمي وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٦١٣) .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده .

(٣) حسن . رواه الحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والشيرازي في الألقاب عن سهل بن سعد ، والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر ، وأبو نعيم في الحلية عن علي ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وحسنه المنذري في ترغيبه ، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة ٢/٥٠٥ - ٥٠٧ بعد أن ذكر تحسين المنذري له : وهو الصواب الذي يدل عليه مجموع هذه الطرق . والله أعلم .

إلى صلاته ، رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي . ورجلٌ غزا في سبيل الله ، وانهزم أصحابه ، وعلم ما عليه في الانهزام ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى يهريق دمه ، فيقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي ، رجع رجاءً فيما عندي ، وشفقةً ممَّا عندي ، حتى يهريق دمه »[١] .

من علت همته من رجال الليل نظر إلى هذا الحديث :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئةٌ ، قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه ، فيقول : انظروا إلى عبدي هذا ، كيف صبر لي بنفسه . والذي له امرأة حسنةٌ وفراش لين حسن ، فيقوم من الليل ، فيقول : يذر شهوته ويذكرني ، ولو شاء رقد . والذي إذا كان في سفرٍ ، وكان معه ركب فسهروا ، ثم هجعوا ، فقام من السحر في ضراء وسرَّاء »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آياتٍ ، لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المُقنطرين »[٣] .

---

(١) حسن . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، وابن حبان في صحيحه من رواية ابن مسعود ، وحسّنه الألباني ، وقال الشيخ شاكر في تحقيق المسند : إسناده صحيح . وحسّن إسناده الهيثمي .

(٢) حسن . رواه الطبراني في الكبير وقال : إسناده حسن ، وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات . وحسنه الألباني في صحيح الترغيب حديث رقم (٦٢٥) .

(٣) صحيح . رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه وقال الألباني في التعليق على صحيح ابن خزيمة : إسناده جيد . وحسنه في صحيح الترغيب رقم (٦٣٥) . وصححه في صحيح الجامع رقم (٦٣١٥) .

والمقنطرون : هم من كتب لهم قنطارٌ من الأجر ، والقنطار كما جاء في حديث فضالة بن عبيد وتميم الداري عند الطبراني : « خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

وسيّد العابدين المتهجّدين ﷺ يقول فيه ابن رواحة :

يَبِيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فراشِهِ ... إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجِعُ

والذي قال فيه شوقي أمير الشعراء :

مُحيي اللَّيالي صلاةً لا يُقَطِّعُها ... إلَّا بدَمْعٍ من الإشفاق مُنْسَجِمِ

مُسَبِّحًا لك جُنْحَ اللَّيْلِ مُحْتَمِلًا ... ضُرًّا من السُّهْدِ أو ضُرًّا من الوَرَمِ

عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلَّفُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » . رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وعند مسلم : « حتى وَرِمَتْ قدماه » .

وعند البخاري : « حتى ترم قدماه أو ساقاه » .

وعند البخاري ومسلم : « حتى تفطَّر رجلاه » .

وفي حديث أبي هريرة « حتى تزلع قدماه » .

قال النووي : تفطرت : تشققت .

قال الحافظ في الفتح : « لا اختلاف بين هذه الروايات ؛ فإنه إذا حصل الانتفاخ أو الورم ، حصل الزلع والتشقق . والله أعلم » .

وروى البخاري ومسلم وابن ماجه ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوءٍ . قال : قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه .

وعند البخاري بلفظ : صليت مع النبي ﷺ ليلةً ، فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوءٍ . قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ .

قال الحافظ في الفتح (١٩/٣) : « وفي الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل ، وقد كان ابن مسعود قويًّا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ ، وما همَّ بالقعود إلَّا بعد طولٍ كثيرٍ ما اعتاده » .

وفي حديث حذيفة : فصلى أربع ركعاتٍ ، قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام .

وعن أنس رضي الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلةٍ شيئًا ، فلمّا أصبح قيل : يا رسول الله ، إنّ أثر الوجع عليك لبيِّن . قال : « إني على ما ترون بحمد الله قد قرأتُ السَّبْع الطّوال »[١] .

وعن عطاء قال:« دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها ، فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيءٍ رأيتيه من رسول الله ﷺ . فبكت ، قالت : قام ليلة من الليالي فقال : « يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي » . قالت : قلت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما يسرك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض ، وجاء بلال يُؤذِّن بالصلاة ، فلمّا رآه يبكي ، قال : يا رسول الله ، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر ؟ قال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا . لقد نزلت عليَّ الليلة آياتٌ ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ **إن في خلق السموات والأرض ...** ﴾[٢] الآية [آل عمران : ١٩٠] .

---

(١) صحيح . أخرجه أبو يعلى والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي وسكت عنه الألباني . وضعفه الألباني في التعليق على صحيح ابن خزيمة رقم (١١٣٦) .

(٢) صحيح . رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ، وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني

ولقد سطر سلفُنا أنصع الصفحات في قيام الليل ، بحيث يعجز الإنسان عن تصور علو همتهم في هذا المضمار ، لكأنهم من غير طينتنا أو عجنوا بعبرات القيام ... ولقد أفردت مجلدًا ضخمًا من جمعي - وهو « رهبان الليل » - في ذكر قيامهم وتهجدهم ، وحسبنا هنا أن نشير إلى نماذج منهم ... ومن أراد التوسعة والاستقصاء فعليه بـ « رهبان الليل » .

قيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« قال الحسين : تزوج عثمان بن أبي العاص امرأةً من نساء عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد ، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل عمر .. !! »[(١)] .

قال الحافظ ابن كثير عن ليل عمر : « كان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته ، فلا يزال يصلي إلى الفجر » .

وقال لمعاوية بن خديج : « لئن نمت بالنهار لأُضَيِّعنَّ الرَّعِيَّة ، ولئن نمتُ بالليل لأُضيعنَّ نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية »[(٢)] .

قيام ذي النُّورين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

عن ابن سيرين قال : قالت امرأةُ عثمان حين قتل : لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة[(٣)] .

« روي عنه : أنه كان يقرأ القرآن في ركعة ، ثم يوتر بها »[(٤)] .

---

(١) الزهد لابن حنبل ص١١٨ ، ١١٩ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٣/٩ : وأخرجه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) الزهد لابن حنبل ص١٢٢ ، ١٢٣ .

(٣) الزهد لابن حنبل ص١٢٧ .

(٤) إسناده صحيح . أخرجه الطحاوي والبيهقي ٢٥/٣ ، وابن أبي داود ، =

قيام أبي هريرة رضي الله عنه :

« عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة سبعًا ، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا ؛ يصلي هذا ثم يوقظ هذا »[(١)].

قيام تميم الداري رضي الله عنه :

قال ابن المبارك : ما بلغني عن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ من العبادة ما بلغني عن تميم الداري .

عن جعفر بن عمرو قال : كنا فئة من أبناء أصحاب النبي ﷺ ، قلنا : إن آباءنا قد سبقونا بالهجرة وصحبة النبي ﷺ ، فهلموا نجتهد في العبادة ، لعلنا ندرك فضائلهم . أو كما قال . قال : عبد الله بن الزبير ومحمد ابن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن طلحة ومحمد بن عبد الرحمن ابن عبد يغوث . قال : فاجتهدنا في العبادة بالليل والنهار ، وأدركنا تميمًا الداري شيخًا فما قمنا له ولا قعدنا في طول الصلاة[(٢)].

قيام عبّاد بن بشر رضي الله عنه :

انظر إلى شغف عبادٍ بقيام الليل ، لا يمنعه من ذلك جراحٌ كادت تودي بحياته .

عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فأصاب رجلٌ امرأة رجلٍ من المشركين ، فحلف أن لا أنتهي حتى أُهريق دمًا في أصحاب محمدٍ ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ ، فنزل النبي ﷺ فقال : « هل

= وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش في تحقيق شرح السنة ٤/٤٩٩ .

(١) الإصابة لابن حجر وسنده صحيح . انظر الإصابة ٤/٢٠٩ .

(٢) الزهد ص٢٠٠ .

رَجُلٌ يَكْلَأُ » . فانتدب رجلٌ من المهاجرين[١] ورجل من الأنصار[٢]، فقال : « كُونا بفم الشّعْب » فلمَّا خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري ، وقام الأنصاري فصلى ، فأتى الرجل ، فلمَّا رأى شخصه ، عرف أنه ربيئة القوم ، فرماه بسهمٍ فوضعه فيه ، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهمٍ ، ثم ركع وسجد ثم انتبه صاحبه ، فلما عرف أنهم قد نذروا به ، هرب ، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال : سبحان الله ! ألا أنبهتني أول ما رمى ؟! قال : كنت في سورةٍ أقرأها ، فلم أُحِبّ أن أقطعها . اهـ .

وفي دلائل النبوة : فنام عمار بن ياسر ، وقام عباد بن بشر يصلي ، وقال : كنت أُصلي بسورةٍ وهي الكهف ، فلم أُحِبّ أن أقطعها[٣].

نعم يا سيدي ... عذابه فيك عذب .

قيام أبي ريحانة رضي الله عنه :

عن مولى لأبي ريحانة قال : « قفل أبو ريحانة من بعث غزا فيه ، فلمّا انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه ، ثم دعا بوضوءٍ فتوضأ منه ، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ، ثم أُخرى ، فلم يزل كذلك مكانه ، كلما فرغ من سورة افتتح الأُخرى ، حتى إذا أذن المؤذن من السحر ، شد عليه ثيابه ، فأتته امرأته ، فقالت : يا أبا ريحانة ، قد غزوت فتعبت في غزوتك ، ثم قدمت إلّي ، لم يكن لي منك حظٌّ ونصيبٌ . فقال : بلى ، والله ما خطرت لي على بالٍ ، ولو ذكرتك لكان لك عليّ حقٌّ . قالت : فما الذي يشغلك يا أبا ريحانة ؟ قال : لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله في جنته من لباسها

---

(١) هو عمّار بن ياسر .

(٢) هو عبّاد بن بشر .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرك وصححه ، وعلّقه البخاري في صحيحه ، وأحمد والدارقطني وصححه .

وأزواجها ونعيمها ولذاتها ، حتى سمعت المؤذّن »[١] .

لسان حاله يقول :

دَعِ المَصُوغاتِ مِنْ ماءٍ وطِين   واشْغَلْ هَواكَ بحُورٍ عِينِ

قيام أبي الصَّهباء صِلَةَ بن أشْيَم العدويّ :

« لما زُفَّت إليه معاذة العدوية ، أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيتًا مطيَّبا ، فقام يصلي حتى أصبح ، وفعلت معاذة كذلك ، فلمَّا أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله ، فقال له : إنك أدخلتني بيتًا أذكرتني به النار ، ثم أدخلتني بيتًا أذكرتني به الجنة ، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحتُ »[٢] .

رجلٌ وامرأتهُ يقومان الليلَ كلّه ليلةَ بنائهما .

قالت عنه زوجته المتهجدة العابدة معاذة : « ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلى فراشه إلَّا حبوا ، يقوم حتى يفتر ، فما يجيء إلى فراشه إلَّا حبوًا »[٣] .

وكانت امرأته - رحمها الله - إذا جاء الليل قالت : هذه ليلتي التي أموتُ فيها . فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق ؛ حتى يمنعها من النوم[٤] .

وكانت رحمها الله تُحيي الليل صلاةً ، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول : يا نفس ، النوم أمامك ، لو قد متِّ لطالت رقدتك

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ومختصر قيام الليل ص١٨ .

(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص٢٣ .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه أحمد في الزهد ص٢٠٩ وابن سعد ، والذهبي في السير ٤٩٧/٣ .

(٤) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص٢٣ .

في القبور على حسرةٍ أو سرور .

وكانت تقول : « عجبتُ لعينٍ تنام ، وقد عرفت طول الرُّقاد في ظُلَم القبور » .

قيام عمرو بن عتبة بن فَرْقَد :

كان رحمه الله يخرج على فرسه ليلًا فيقف على القبور فيقول : يا أهل القبور ، لقد طويت الصحف ، لقد رفعت الأعمال ، لا تستعتبون من سيئةٍ ، ولا تستزيدون من حسنةٍ . ثم يبكي ، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح ، فيرجع فيشهد صلاة الصبح[١] .

وكان يقول لأبيه : يا أبت ، إنما أنا عبدٌ أعمل في فكاك رقبتي ، فدعني أعمل في فكاك رقبتي .

وكان يخرج إلى العدوّ مع الناس ، فلا يتحارس الناس ؛ لكثرة صلاةِ عمرو ، ورأوه ليلةً يصلي ، فسمعوا زئير الأسد ، فهربوا وهو قائمٌ يصلي فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سواه[٢] .

ولما مات عمرو ، دخل بعض أصحابه على أخته فقال : أخبرينا عنه ، فقالت : قام ليلة فاستفتح حمٓ ، فأتى على هذه الآية : ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة** ... ﴾ [غافر : ١٨] فما جاوزها حتى أصبح[٣] .

قيام همام بن الحارث النَّخَعِي ، المتعبِّد القوَّام ، المتلذِّذ بالسَّهر ، للذِّكْر همَّام :

كان يصبح مترجِّلًا ، فقال بعض القوم : إنّ جُمَّة همام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليل .

---

(١) الزهد ص٣٥٣ .

(٢) حلية الأولياء ٤/١٥٦، ١٥٧ .

(٣) صفة الصفوة ٣/٧٢ .

وكان رحمه الله يدعو ويقول : « اللهم اشفني من النوم باليسير ، وارزقني سهرًا في طاعتك » .

وكان لا ينام إلا هُنَيْهَة وهو قاعد[١] .

قيام أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب :

قال شمر : أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمي ، فقال : كيف قوَّتُك في الصلاة ؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكُره ، قال أبو عبد الرحمن : كنت أنا مثلك ، أصلي العشاء ثم أقوم أُصلي ، فإذا أنا حين أصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت .

قيام عبد العزيز بن سلمان :

وكانت رابعة - رحمها الله - تسميه « سيد العابدين » .

كان رحمه الله يقول : ما للعابدين وما للنوم !! لا نوم والله والله في دار الدنيا إلا نومٌ غالِب .

يقول عنه ابنه محمد : كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد ، سمعت في الدار جَلَبَةً شديدة ، واستقاء للماء الكثير . قال : فنرى أن الجن كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه[٢] .

قيام علي بن بكّار :

المرابط الصبّار والمجاهد الكرَّار .. بكى حتى عَمِي ... كانت الجارية تفرش له فراشه فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب ، والله إنك لبارد ، والله ما علوتك ليلتي . ويصلي حتى الفجر[٣] .

---

(١) حلية الأولياء ٤/١٧٨ .

(٢) حلية الأولياء ٦/٢٤٥ .

(٣) حلية الأولياء ٩/٣١٨ .

قال علي بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر .

بكـى الباكُـونَ للرحمـن ليلًا وباتـوا دَمْعهـمْ لا يَسْأمُـونا
بِقاعُ الأرضِ مِنْ شوقٍ إليهـمْ تحِـنُّ متى عليهـا يَسْجُـدُونا

قيام أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : راجع حفصة فإنها صوَّامة قوَّامة »(١).

قيام حفصة بنت سيرين :

كانت رحمها الله تُسرِج سراجها من الليل ثم تقوم في مُصلّاها ، وكانت تلبس كفنها ، فربما طُفِئَ السِّراج ، فُيضيء لها البيت حتى تصبح . ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لحاجةٍ أو قائلة .

قيام أم الدرداء الصغرى :

عن يونس بن ميسرة قال : كنا نحضر أم الدرداء ، وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله ، حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام .

قيام عجردة العمية رحمها الله :

قال رجاء بن مسلم العبدي : كنا نكون عند عجردة العمية في الدار ، فكانت تحيي الليل صلاة ، وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوتٍ لها محزون : إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتكبير الدُّلَج إلى ظُلَم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهي

---

(١) حسن . أخرجه الحاكم في المستدرك عن أنس وقيس بن زيد ، وأبو نعيم في الحلية عن عمار ، وأبو نعيم والحاكم في المستدرك عن قيس بن زيد مرسلًا ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٢٢٧) .

لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء . ثم تخر ساجدة ، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها ، حتى يطلع الفجر ، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

قيام حبيبة العدويَّة رحمها الله :

قال عبد الله المكي : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة ، قامت على سطحٍ فشدت عليها درعها وخمارها فقالت : إلهي ، غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك . ثم تُقبل على صلاتها ، فإذا كان السحر قالت : اللهم ، وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأُهنَّى ، أم رددتها عليّ فأُعزَّى ، فوعزتك لَهذا دأبي ودأبك أبدًا ما أبقيتني ، وعزَّتك لو انتهرتني ، ما برحت عن بابك ، ولا وقع في قلبي غير جُودك وكرمك[١] .

وكانت تقول : اللهم اغفر لي سوء أدبي في صلاتي[٢] .

قيام عُفيرة العابدة :

قيل لها : إنك لا تنامين بالليل . فبكت وقالت : ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه ، وكيف ينام أو يقدر على النوم ، مَنْ لا ينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا[٣] .

هؤلاء نساءٌ !!

ولو أن النساء كما ذَكَرْنا لفُضِّلت النِّساءُ على الرِّجالِ

(١) صفة الصفوة ٣٢/٤ .

(٢) تنبيه المغترين ص١١٦ .

(٣) مختصر قيام الليل ص٢٩ .

وسنُفرد للنساء فصلًا خاصًّا في علوّ همّتهنّ وتنوُّعها .

ونختم بما قيل في المتهجِّد ... عالي الهمة :

فللهِ دَرُّ العـارِفِ النَّـدْبِ إنّـه ... تَفِيـضُ لفَرْطِ الـوجْدِ أجفـانُهُ دَمَا
يُقيـمُ إذا ما الليلُ مـدَّ ظـلامَهُ ... على نفْسِهِ من شدَّةِ الخوفِ مَأْتَمَا
فصار قَرينَ الهَمِّ طُـولَ نهـارِهِ ... أخا السُّهْد والنَّجْوَى إذا الليلُ أظْلَمَا
يقولُ حبيبي أنت سُؤْلي وبُغْيَتي ... كفى بك للرَّاجينَ سُؤْلًا ومَغْنَمَا
ألسـتَ الذي غـذيتَني وهـديتَني ... ولا زلـتَ منَّانًا عليَّ ومُنْعِمَـا
ففي يقْظتي شَوْقٌ وفي غَفْوَتي مُنًى ... تُلاحِقُ خَطْوِي نشْوَةً وتَرَنُّمَـا[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي ص١١٥ تحقيق دكتور محمد عبد المنعم خفاجة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية .